وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بيان للناس ـ خالد الشافعي

خالد الشافعي | المصريون 25-07-2010 00:39

الحمد لله رب العالمين له الحمد الحسن والثناء الجميل وأشهد ألا إلاه إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
أما بعد

فحين كدت أنهتى من كتابة المقال الأول فى السلسلة عن السلفية والسلفيون لأرسله للنشر عدت إلى مقال قديم قرأته منذ سنوات ومن يومها وهو يحتل فى ذاكرتى المكانة الأولى فى هذا الباب ويكفى أن أقول أننى لم أحصل فى حياتى فى موضوع من أحد من الأحياء على رؤية بهذا العمق والوضوح كما حدث مع هذا المقال ويكفى أن أقول أننى لم أفهم ما يجرى فهماً أظنه كاملاً إلا بعد أن قرأت هذا المقال وبالمناسبة فالنصف الثانى من المقال ينتقد بعض ممارسات السلفية والسلفيين والدعاة والفضائيات وهوما يثبت أننا نرى عيوبنا وليس عندنا عقدة من النقد والمراجعة طالما كانت لوجه الله ولتحسين الأداء حين عدت إلى المقال قررت أنه أفضل مقدمة للدخول إلى موضع السلفية والسلفيين لأن هذا المقال يمكن أن يوفر الكثير من الوقت والكلام وأنا أستأذن الاستاذ محمود سلطان الذى أشهد الواحد الأحد أنه واحد من الذين يكتبون كلاماً مفيداً يصلح أن يكون منطلقاً لأهل الإصلاح ليفهموا ويحذروا أستئذنه أن أنشر معظم المقال رغم طوله البالغ لأنه من الأهمية بمكان إلى الحد الذى يمكن معه إعتباره مقالا تاريخيا كاشفا وقاطعا للنزاع هذا المقال من وجهة نظري هو أعظم ما قرأت فى هذا الباب وينبغى أن يقرأ بعناية عشرات المرات إخوانى الكرام أدعوكم لقراة مقال الأستاذ أحمد فهمى وهو بعنوان :

عفواً ممنوع دخول السلفية والسلفيين http://www.albayan-magazine.com/files/salafya/index.htm

هذا عنوان لافتة افتراضية تم غرسها على أعتاب القرن الجديد أو الألفية الثالثة أو الشرق الأوسط الجديد، أو غير ذلك من المسميات التي تختلف في تفاصيلها، وتتفق على شيء واحد وهو: لا مكان للإسلام الأصولي السلفي في العالم الجديد أياً كان اسمه. قام أحد مراكز البحوث بإعداد دراسة مستقبلية مفصلة تجيب عن سؤال: كيف سيكون شكل العالم بعد 15 عاماً وتحديداً عام 2020م؟ وتبنى الدراسة المجلس القومي الأمريكي للاستخبارات (الشرق الأوسط، 2005/11/2م) وكان هناك أربعة خيارات أطلقوا عليها اسم «سيناريوهات المستقبل»:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(1) إمبراطورية إسلامية من المغرب إلى إندونيسيا. (2) عالم من الفوضى والإرهاب. (3) عالم تسوده العولمة بدون سيطرة أمريكية. (4) عالم تسوده القيم الأمريكية وتحكمه واشنطن. هذا الخوف من الإسلام ـ بشقيه الحقيقي والمفتعل ـ يحتاج إلى سؤال آخر على النمط الأمريكي أيضاً، وهو: تتعدد المناهج والتيارات المطالبة بعودة الإسلام؛ فأيها تخشى أمريكا تحديداً؟:

(1) التيار الإسلامي السياسي. (2) التيارات السلفية. (3) الطرق الصوفية. (4) المؤسسات الدينية الرسمية.

وقد قدمت مراكز الأبحاث الأمريكية إجابة واضحة عن هذا التساؤل، باختيارها للتيارات السلفية مصدراً عاماً للقلق والتوتر.

وهنا نأتي إلى السؤال الثالث وهو: ما هي أفضل الطرق للتعامل مع الخطر الذي تمثله السلفية؟:

(1) استبدالها بمناهج وأفكار أخرى. (2) الإقصاء. (3) الاحتواء؟ ونحاول في هذه الورقات أن نقدم الخيار الأكثر ترجيحاً

استبدال السلفية:

يقوم مفهوم الاستبدال على قيام جهات الضغط الغربية ـ بطرق غير مباشرة غالباً ـ بتحفيز وتشجيع تيارات ومناهج أخرى لكي تقوم كبديل للمنهج السلفي في الدول الإسلامية. وترتكز فكرة الاستبدال على وجود رغبة عامة وعارمة لدى الجماهير في التدين وقد كانت الفكرة القديمة تنحصر في تجفيف منابع التدين واستبدال الدين بأفكار علمانية براقة، ولكن مع فشل هذه الفكرة، بدأ الكثيرون ينتقلون إلى مرحلة تالية، وهي: فلندع المسلمين يتدينون كما يريدون، لكن فلنقدم لهم نحن (التوليفة) المناسبة للتدين.وتكمن خطورة السلفيين بالنسبة لخصومهم في أنهم يقودون الناس في قطار سريع يصلهم مباشرة بين الواقع ومصادر التشريع، أما غيرهم من التيارات فيأخذون الناس في جولة سياحية تطول وتقصر بحسب المنهج، وأحياناً تتحول الرحلة بمجردها إلى هدف منشود.

والعناصر الرئيسة المتضمنة لـ (توليفة) التدين الأمريكية:

1 ـ رموز ودعاة مستقلون يقدمون نمطاً متطرفاً في تسامحه واعتداله ليبرز النمط السلفي للتدين على أنه متطرف في فهمه

2 ـ غطاء وحاجز سياسي توفره التيارات السياسية التي تنظر للتيارات السلفية على أنها معوق لتقدمها السياسي، كما أنها على استعداد لتقديم تنازلات دينية في سبيل تحقيق مكاسب سياسية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

3 ـ الربط الوثيق بين السلفية العلمية والدعوية وبين السلفية الجهادية، بحيث يصبح الجميع منهجاً واحداً متعدد المراحل

4 ـ إفساح المجال في عدد من البلدان الإسلامية لدعاة التصوف وخاصة الذين طوروا خطابهم في مرحلة ما بعد 11 سبتمبر، والذي يقفزون فيه على كل ما يثير الغرب في الإسلام، ويقدمون صياغة جديدة قابلة للتسويق في الثقافة الغربية. ونقدم تفصيلاً أكثر لعنصري: دعاة الاعتدال، والمتصوفة الجدد.

العنصر الأول: دعاة الاعتدال: وقد بدأ نجمهم في البزوغ في السنوات الأخيرة وخاصة بعد 11 سبتمبر، وأهم صفتين تمثلان جواز المرور لهذه الفئة من الدعاة أنهم يتجاوزون نقاط الاختلاف الساخنة مع الغرب، ويقفزون على قضايا الولاء والبراء والقضايا العقدية إجمالاً، كما أنهم لا يرتبطون غالباً بأي انتماءات لجماعات إسلامية عليها علامات استفهام غربية. وفي الحقيقة فإن هذه الفئة من الدعاة رغم إيجابيات تحققت على أيديهم بإذن الله، فإنهم يلعبون دوراً خطيراً في وقف التوجه الشعبي نحو الإسلام الحقيقي بشموليته لجميع جوانب الحياة؛ فهم يمثلون مكابح للتدين تقف بالناس عند مرحلة معينة متوسطة بين الانحراف عن الدين وبين الإسلام كما يقدمه المنهج السلفي، ليقولوا لهم: نهنئكم بسلامة الوصول؛ لقد أصبحتم متدينين

ولكن المؤسف أن التنازلات التي يقدمها دعاة الاعتدال قد لا تلقى ترحيباً لدى الطامعين في المزيد، وفي مقدمة هؤلاء الحاقد الأكبر على الإسلام (دانيال بايبس) صاحب الحظوة في البيت الأبيض الذي كتب مقالة بعنوان «كيف نحدد المسلمين المعتدلين؟» نشرتها صحيفة (نيويورك صن)، ويقول فيها: «هناك المزيد من المعتدلين المزيفين الذين يصعب الكشف عن تطرفهم، حتى وإن كان المراقب هو مثلي ويكرس الكثير من الوقت والانتباه إلى هذه القضية». ويقدم «بايبس» توضيحاً أكثر لمراده: «الإسلامويون ـ يعني المتطرفين ـ يعون الحاجة إلى المسلمين المعتدلين وهم يتعلمون كيف يتظاهرون بالاعتدال، ولا شك أن هذا التمويه سيتحسن مع الوقت».

العنصر الثاني: المتصوفة الجدد: وهناك دلائل كثيرة تشير إلى أن السياسة الأمريكية باتت تنظر إلى الصوفية «المعدلة» على أنها يمكن أن تمثل بديلاً مناسباً للتدين لدى عامة المسلمين، ولكن في المجمل: فإن مصطلح «الاستبدال» مع كل ما سبق لا يقدم وصفاً دقيقاً للحملة الغربية على التيارات السلفية؛ فالأمر تجاوز مرحلة الاستبدال بكثير، كما أن بعض الدول الإسلامية التي توفرت لديها بدائل السلفية لا تزال ـ من وجهة نظر غربية ـ ضمن دائرة الخطر السلفي، ويمكن تفسير ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: السلفيون لا ينبع خطرهم من الكثرة العددية كما هو الحال بالنسبة للتيارات الأخرى، بل ينبع خطرهم في الأساس من الفكرة التي يحملونها وقابليتها للانتشار بسهولة.

ثانياً: يمكن التمثيل على تباين التيار السلفي مع التيارات الأخرى من حيث ارتباط الكثرة العددية بقوة التأثير، بالوضع في مصر؛ فمن حيث العدد والانتشار، تأتي الطرق الصوفية في المقدمة حيث يُعد أنصارها بالملايين، ثم تأتي جماعة الإخوان المسلمين، ثم التيارات السلفية آخراً، ورغم ذلك فإن المفاهيم السلفية منتشرة في مصر ولها تأثيرها، ويستدل على ذلك بحجم ونوعية الكتاب الإسلامي المتداول والمرتبط بالسلفية مقارنة بمثيله لدى التيارات الأخرى.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثالثاً: مشكلة السلفية أو الوهابية مع العالم الغربي أنهما يطالبان بالعودة إلى منابع الإسلام الصافية ـ الكتاب والسنة ـ وتحكيمهما في كل صغيرة وكبيرة بصورة مباشرة، ويمتلك الغربيون قناعة قديمة تمتد لمئات السنين بأن تلك المنابع الصافية هي مصدر بلائهم، وأن أي جماعة أو تيار يبدو حريصاً على التمسك بها لا مفر من مواجهته، وهذه هي جريرة السلفية أو الوهابية. «إن المتعصبين الوهابيين يقولون إنهم سيعيدون الإسلام النقي، وأقول: إن هذا يعني محو مئات السنين من الشعر والأدب والعمارة والفن والموسيقى» [الكاتب الأمريكي المتخصص في الشؤون الإسلامية ديفيد شوارتز، صحيفة ويكلي ستاندارد]، ويقول روبرت سبنسر: «كون الإصلاح الوهابي كان عنيفاً وقاسياً فهو انعكاس للنصوص الأساسية لدينه الذي نذر له نفسه وأتباعه في تعصب لا يرحم» [موقع إسلام ديلي].

احتواء السلفية:

لن يمكن احتواء الفكر إلا بعد احتواء أكبر عدد ممكن من رموز السلفيين وأتباعهم، وبات من الأمور المعتادة أن نجد جماعات ورموزاً سلفية لهم مذهبان: قديم وجديد. ومن الأمور التي ينبغي الإشارة إليها هنا، لارتباطها بهذه الجزئية، أنه عند تأمُّل تاريخ الجماعات الإسلامية نجد هناك منعطفين خطيرين تواجههما الجماعات في بداية نشأتها ثم عند تراجعها ـ كما هو الحال الآن ـ.

في المنعطف الأول: عادةً ما تكون الانشقاقات أو المراجعات في اتجاه مزيد من التمسك بالجذور والأصول، وللدرجة التي تصل أحياناً إلى التطرف والتكفير، ولكن بعد عقود وعندما تمر الجماعات بمراحل من الضغوط والمواجهات والمحن، عادة ما تكون الانشقاقات أو التراجعات في اتجاه مزيد من التخفف أو التخلص من عبء بعض الثوابت، وأقرب مثال على ذلك (جماعة الإخوان المسلمين) ففي مصر، في مرحلة الستينيات كانت أبرز الانشقاقات في اتجاه التكفير، وتمثلت في (جماعة التكفير والهجرة) التي انشق مؤسسها عن فكر الإخوان، ولكن في السنوات الأخيرة كانت أبرز الانشقاقات متمثلة في (حزب الوسط) تحت التأسيس، والذي يخطو بقوة في اتجاه التوافق مع النظام وتيارات المجتمع العلمانية أو غير المسلمة.

هذه الحقيقة التاريخية تعطينا نتائج هامة، لعل من أبرزها: أن أهم آلية لاحتواء السلفيين ـ ومن ثم السلفية ـ في الوقت الحالي هي في ممارسة مزيد من الضغوط والحصار عليهم، وأخطر وسائل الضغط ـ وعلى غير ما يتوقع الكثيرون ـ هو أن يُفتح المجال أكثر للرموز السلفية كي يخرجوا من ميدانهم الرئيس، ويبرزوا للعلن وللجماهير من خلال الإعلام وفي ميادين لا يملكون أدواتها؛ حيث يواجهون عالماً تغيرت مفاهيمه وثوابته وأصبحت له قواعده الخاصة، وعندها سيجد السلفيون المطروحون للعلن أنه لا بد من تقديم جوازات المرور المتمثلة في التخلص من عبء بعض الثوابت، ولا بأس من طمأنة الغيورين ودغدغة مشاعرهم بأنه لا يوجد تغير أو تراجع، ولكن كل ما في الأمر أنه لا بد من التعامل مع الإعلام بقدر من المداراة والمواربة. ولكن على الجانب الآخر فإن تراجعات السلفيين تمثل لخصومهم بيضة القبَّان التي لا تُترك؛ فسرعان ما يضعون أيديهم في الشق المتسع في قناعات الرموز المتراجعة ليزيدوه اتساعاً وتراجعاً، وليتراكم كل ذلك في خانة المنهج السلفي، لتصبح مهمة الدعوة السلفية، كما يُبرزها هؤلاء، ليست في ضبط مؤشر الانحرافات في المجتمع لكي يقترب أكثر من الإسلام، ولكن في ضبط مؤشر الالتزام لكي يقترب أكثر من المجتمع تحت شعار تصحيح المفاهيم. وهناك آلية أخرى لاحتواء الفكر السلفي، وهي ضغط الاعتقال، وقديماً كانت السجون تعتبر أحد محفزات الغلو والتكفير كما حدث في مرحلة الستينيات في مصر، ولكن في السنوات الأخيرة أصبحت السجون عاملاً حافزاً للتراجعات والمراجعات كما حدث مع الجماعة الإسلامية في مصر أيضاً.والمشكلة الأساس في قضية الاحتواء أن الرمز السلفي الذي يتم احتواؤه ومن ثم تراجعه عن مقتضيات السلفية، لا يقر بتراجعه أو تنازله، بل يعتبر ذلك تجديداً وتطويراً يُنسب للمنهج السلفي، وذلك هو بيت القصيد بالنسبة لخصوم السلفية؛ لأنه لو أعلن الرمز المتراجع عن تغيير انتماءاته لما كان لتراجعه أي فائدة؛ فالهدف المنشود هو تغيير معالم المنهج السلفي بأيدي أبنائه أنفسهم، يعني: تفكيك السلفية من الداخل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومن هنا تنبع أهمية تربية السلفيين والجماهير على الارتباط بالمنهج والحق والثوابت بغض النظر عمن يتبعها أو يدعو إليها، فنحن في عصر أصبح فيه الثبات عملة نادرة، وهذا ما لفت إليه أحد علماء السلف عندما جاءه رجل متحمس فقال له: أتناظرني؟ فرد عليه قائلاً: فإن غلبتني؟ قال الرجل: تتبعني.. قال العالم: فإن جاء ثالث فغلبنا؟ قال الرجل: نتبعه.. فقال العالم: إذن يصبح ديننا التنقل!

وحتى لا تصبح السلفية مرادفاً للتنقل كما يريدها خصومها، ينبغي أن نعيد التأمل مرات ومرات في حديث النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي يحفظه كل السلفيين: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض» (رواه أبو هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 2937). وكما نرى في الواقع فإن هناك طريقتين للتمسك بالكتاب والسنة: إحداهما: بحملهما على الأكتاف، حيث يصبحان ثقلاً وعبئاً على حاملهما، ومثل ذلك يشغله الشعور بالعبء عن تلمس النصح والتوجيه. والطريقة الأخرى للتمسك بالكتاب والسنة في دفعهما للأمام من أجل الهداية والإرشاد، وفارق كبير بين من يتخذ القرار أو الحكم ثم يبحث عما يؤيده أو يلمح إليه من آية أو حديث، ومن يبحث فيهما أولاً ليتخذ قراره وحكمه وفق ما ترشد إليه الآيات والأحاديث.

انتهى كلام الأستاذ أحمد فهمى جزاه الله خيراً ولنا معه عودة إن شاء الله

kaledshafey@yahoo.com

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مقدمة فى السلفية والسلفيون..عذراً إلى ربى ـ خالد الشافعي

خالد الشافعي | المصريون 27-07-2010 00:36

يقول الاستاذ فراج :

والحقيقة أن هذه الطائفة من الأمة التي زادت في مصر بعد الهجرة إلى دول النفط والعودة لتأسيس "سلفية مصرية" متشددة لا تستند بأي حال على أصول أو فروع السلف الصالح التي تنتسب إليها السلفية الصحيحة المتوارية برحيل آخر علمائها الأفذاذ الكبار، وحاد بها بعض طلبة العلم عن طريقها وقاموا بتهجينها لتناسب واقع حالهم الدنيوي المتسق تماما مع أهداف السلطة. ما دام وجودهم يرتكز على الفروع ومناقشة أحكام الحيض والنفاس والمصافحة ولعاب الكلب والابتعاد عن جوهر الإسلام .

أنا ومع أقصى درجات ضبط النفس ومراعاة جميع الإعتبارات لا أستطيع أن أخفى دهشة وتعجب لا نهاية لهما

إقرأوا هذا الكلام مرة أخرى (هذه الطائفة من الأمة – زادت بعد النفط – سلفية مصرية متشددة - لا تستند بأى حال على أصول أو فروع السلف الصالح) يا هول ما أقرأ ، سطر واحد يحمل كل هذه المغالطات والطعن والحكم على النوايا ، كل هذه المغالطات دون دليل واحد ، ياربى آلسلفية المصرية لا تستند بأي حال على أصول أو فروع السلف الصالح . هكذا بجرة قلم ! هكذا السلفية لا تستند ولا على أصل واحد من أصول السلف

راجع الأستاذ فراج كل أصول وفروع السلف وطابقها مع أصول وفروع السلفية المصرية فلم يجد أصلاً واحداً ولا فرعاً واحداص مشتركاً !!!! لا فقه ولا علم ولارحمة ولاأخوة ولاصداقة ولا شيء ؟!!!! يعنى كل هؤلاء الذين عرفوا التدين فى مصر على أيدى السلفيين كل هؤلاء على ضلال ؟هل يعرف أحدكم جماعة فى الدنيا يمكن أن ينطبق عليها هذا الوصف ولو كانوا مجموعة من الكفار؟ رحماك ياربى . ياالله إذا كان السلفيون المصريون بهذا القبح فلماذا تتركوهم ؟ أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتسلفون.

يا أصحاب القلوب الرحيمة هل يمكن أن يصل الأمر إلى القول : إن وجودهم يرتكز على مناقشة أحكام الحيض والنفاس والمصافحة ولعاب الكلب؟ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ؟

منتقدو السلفية مطالبون بأن يجيبوا عن هذه الأسئلة الكاشفة ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

السؤال الأول : ما معنى مصطلح السلفية أو الوهابية ؟

السؤال الثانى : ما هى أهم الصفات التى تميز السلفيين الوهابيين عن المسلمين المعتدلين على أن يكون مقياس الإعتدال أو التشدد هو قول الإئمة الأربعة ؟ وأى من هذه الصفات يخالف الشرع أو يضر بالوطن ؟

السؤال الثالث : ما هى أهم مبادىء الفكر الوهابى التى تميزه عن الإسلام الوسطى المعتدل ؟ بل ماهى المبادىء الوهابية التى تخالف الإسلام الموجود فى كتب الأزهر ؟

السؤال الرابع : لماذا تنسبون هذه الطائفة إلى محمد بن عبد الوهاب بمعنى آخر ماهو الجديد الذى جاء به محمد بن عبد الوهاب فى الإسلام وقلده فيه هؤلاء ؟

السؤال الخامس : إختر الإجابة الصحيحة مما يلى : السلفيون مسئولون عن (كارثة العبارة – تلوث المياه – انحطاط التعليم)

أستحلفكم بالله لو جاءت الإجابة على هذه الأسئلة نتيجتها أن السلفية مطابقة لصحيح الإسلام فهل بعد الحق إلا الضلال ؟ السلفية التى يهاجمها ويكرهها كثير من الخلق تعريفها لمن لا يعرف لا يمكن أن يخرج عن معنى واحد هى اتباع السلف من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين

السلفية هى تقديس كلام الله والرسول ثم وضع كلام الصحابة فوق كلام الناس لأن الله جعلهم خير أمة أخرجت للناس وجعلهم كلهم عدول ثم بعد ذلك وبالعقل والمنطق جعلنا لكلام القرنين التاليين مكانة دون مكانة الصحابة وفوق مكانة من بعدهم لشهادة النبى صلى الله عليه وسلم لهم ثم واحتراماً للتخصص جعلنا لكلام الفقهاء والعلماء مكانة احتراماً للتخصص ولتراجم جاء فيها عن هؤلاء ما لولا أنه وصل بأسانيد صحيحة ماصدقناه .

الآن إذا كانت جميع تعريفات السلفية تدور حول اتباع السلف الصالح وهم الصحابة والتابعين والإئمة الأربعة فهل يختار مسلم عاقل من أهل السنة أن يكون خارج هذه الدائرة ؟ هى واحدة من ثنتين إما أن يقولوا لا نسلم لك بأن هذه هى السلفية ، فنقول لهم : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، أو أن يقولوا أننا لم تكن نعرف ، فيثبتوا دعوانا، أو يقولوا - وهو الحق قطعاً لكنه لا يبرر كل هذا العداء والهجوم والنقد - نحن لا نقصد السلفية بل نقصد السلفيين ، فنقول لهم : أولاً هذا لا يفهم من كلامكم ، ثانياً : أنا وغيرى التقينا وعاشرنا ألوف السلفيين وعاملناهم وصاهرناهم وما رأينا عُشر معشار ماتقولون فاثبتوا لنا عكس مانقول ، ثالثاً : وهل هذا خطاب نصيحة أم خطاب فضيحة ؟

إذاً كلام فصل ونهائى أنه لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يطعن فى السلفية ، وإنما الكلام وبإنصاف ورفق ينبغى أن يكون عن السلفيين، بمعنى آخر فإن السلفية هى المثال والسلفيون هم الواقع وكحال أى طائفة فى الدنيا قد يأتى الواقع مثالياً وقد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يكون الواقع مُراً ،مع الأخذ فى الحسبان وكما قال لى الشيخ : هذه طبيعة الأجيال الأولى فى أى صحوة تحتاج إلى وقت لتصحح مسارها وتتعلم من تجاربها فمابالك وهم مطاردون وممنوعون من التواصل وملابسة القدوات ومصاحبة المشايخ لأجل التربية والتزكية وتصويب الإنحرافات وغرس الأصول .

إذاً صارت القضية فى السلفيين فنحتاج إلى أن نعرفهم للذين لا يعرفوهم أو لم يشاهدوهم : هم كائنات حية تشبه كثيراً الآدميين لهم يدين ورجلين وعينين وأذنين ، يعيشون فى القرى والمدن ،ويأكلون الطعام ، ويشربون الماء ، ويتنفسون الهواء ، يتحركون بالنهار وينامون بالليل يختلفون عن البشر فى كون أرواحهم تتغذى على القرآن لا على الموسيقى ، ونسائهم لا تمشى بعورات مكشوفة فى الشارع ، ينبت لهم شعر أسفل الحنك ، ويدمنون الذهاب إلى بيوت الله ومن طباعهم الغريبة أنهم يرون فى الرقص عيباً وفى الإختلاط دونية هم لا يؤمنون بالفن فهم لا ينحتون ولا يرقصون . ويعتقد كثير من البشر أن بهم مس من الجنون .

أيها العقلاء : السلفيون إخوانكم وجيرانكم وأصدقائكم . فيهم عيوب نعم ، عند بعضهم غلظة وعجلة وتشنج و تسرع فى إصدار الأحكام وحاجة إلى معرفة مقاصد الشريعة وفقه الواقع وترتيب الأولويات ، نعم كل هذا موجود لكن عندهم من الخير ما قد يفوق ما عند غيرهم وكفى بالمرء حسناً أن تعد معايبه ، فهل فكر أحد من أهل الحوار والإعلام وبرامج التوك شو أن يستدعيهم ؟ هل فكر أحد أن يسمع لهم ؟ هل فكر أحد أن يستغل هذه الطاقة الهائلة فيما ينفع لا بل ممنوع على السلفيين أن يظهروا إلا فى فضائياتهم ولا يسمح لأحد منهم أن يأتى قط فى البرامج الشهيرة إلا من صار تنويرياً كهذا الشيخ الجليل الذى جعله الأستاذ فراج مثالاً لما يجب أن يكون عليه الإسلاميون ولم يكلف نفسه أن يقرأ بعضاً من تاريخ تحولاته التى جعلته نوعاً آخر من السلفيين ويكفى أن أنقل عبارة لهذا الشيخ التنويرى حين زار تونس - التى جعلها الشيخ القرضاوى أحد نموذجين للتطرف العلمانى فى كتاب له بهذا الإسم - يقول الشيخ الذى صار تنويرياً عن أشهر نظام يحارب مظاهر الإسلام فى العالم فمنع الحجاب وتعدد الزوجات وجعل نصيب المرأة فى الميراث كنصيب الرجل يقول الشيخ التنويرى حالياً المتشدد سابقاً بعد أن زار هذه البلد ليدلل على كذب هذه الإدعاءات :

زرت بلداً إسلامياً, كنت أحمل عنه انطباعاً غير جيد، وسمعت غير مرّة أنه يضطهد الحجاب، ويحاكم صورياً، ويسجن ويقتل، بيد أني وجدت أن مجريات الواقع الذي شاهدته مختلفاً شيئاً ما ؛ فالحجاب شائع جداً دون اعتراض، ومظاهر التديّن قائمة، والمساجد تزدحم بروّادها من أهل البر والإيمان، وزرت إذاعة مخصصة للقرآن؛ تُسمع المؤمنين آيات الكتاب المنزل بأصوات عذبة نديّة، ولقيت بعض أولئك القراء الصُلحاء؛ بل سمعت لغة الخطاب السياسي؛ فرأيتها تتكئ الآن على أبعاد عروبية وإسلامية، وهي في الوقت ذاته ترفض العنف والتطرف والغلو، وهذا معنى صحيح، ومبدأ مشترك لا نختلف عليه. انتهى كلامه لا فض فوه .

وقد أعجنى تعليق أحد الفضلاء على كلام الشيخ الذى صار تنويرياً حيث قال رداً عليه :

وهذا معيار عجيب في الحكم على أحوال بلد ما، فهل كان يتوقع أن يجد شرطة في الشوارع تنزع الحجاب عن رؤوس المسلمات؟! وهل كان يعتقد أن من لوازم قمع الإسلام إخلاء المساجد من الأبرار والمؤمنين؟ وهل كان يبحث عن محاكمة صورية، مثل أن يتم الإعلان في الإعلام على طريقة العصور الوسطى: أيها الناس ليعلم الحاضر منكم الغائب هناك محاكمة صورية! ستعقد في قصر العدل اليوم الساعة العاشرة صباحاً، وعلى الجميع الحضور بأمر مولانا أطال الله عمره؟! ومنذ متى كان وجود إذاعة للقرآن دليلاً على انفتاح بلد ما على الإسلام، أو على الأقل على أنه لا وجود لقمع الإسلام؟ انتهى التعليق.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ماذا تنقمون على السلفيين ؟ ومن منكم بلا عيوب ؟ ألن ترضوا عن السلفيين إلا إذا صاروا كما تريدون ؟ أيحق للجميع أن تكون لهم وجهات نظرهم الخاصة فى كل شىء إلا السلفيين ؟ صارت حرية التعبير مكفولة للجميع حتى صار سب الله محمياً بقانون حرية الفكر والسلفيون فقط لا يحق لهم ذلك ؟. إذا كان من حق أمريكا والمجتمع الدولى أن يتدخلوا لفرض الديمقراطية بالقوة فى هايتى وأفغانستان والعراق ألا يكون من حق السلفيين أن يقولوا - فقط يقولوا - ما يعتقدوا أنه الحق ؟ أليس من حق السلفيين أن يعتقدوا بحرمة الغناء وحرمة الإختلاط وحرمة الربا ؟ دعك من أن هذا حكم شرعى هب أنها وجهة نظر ألستم تقدسون حرية الفكر وتقتلون من يصادرها ؟

أمن حق عباد البقر أن يعبدوا البقر ويقفوا له فى الشارع ؟ ومن حق اليهود أن يمتنعوا يوم السبت عن العمل ؟ ومن حق الكنيسة فى أمريكا أن تعقد الزواج المثلى وفى مصر أن تزدرى أحكام القضاء ؟ ومن حق العلمانيين أن يدعوا إلى الدولة المدنية وليس من حق السلفيين أن يكون لهم فى ذلك وجهة نظر مختلفة ؟ من حق الراقصات واللاعبين والفنانين وطوب الأرض أن يعبروا عن آرائهم وتتسابق البرامج على استطلاع رأيهم والتقاط الصور لهم ومتابعة أخبارهم أما البعداء السلفيون فليخرسوا .

كيف نطيعكم ونحن راجعنا سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فرأيناه يرى أصحابه فى مكة يذوقون ألوان العذاب ولا يفعل أكثر من صبراً آل ياسر ، كيف وقد علمنا أنه كان يطوف حول الكعبة وحولها ثلاثمائة صنم دون أن يعترض ولو بالكلام ولا يأمر أصحابه أن يقوموا فى جوف الليل بعملية تحطيم لها لخوفه من مفسدة أعظم . بل وصل الأمر بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة ودخولها فى الإسلام أن يمسك عن إقامة الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاة لواقع له قوته وسطوته واعتباره الذى لا يمكن لعاقل أن يدير ظهره له ويقوم بعمل طائش فيكون كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

ببساطة أنتم ترون أن المواجهة هى الحل ونحن نرى أن المواجهة ليست حلاً أتنكرون هذا علينا ؟ أنتم ترون أن المشكلة فى النظام ونحن نرى أن هذا جزء من المشكلة بينما المشكلة الأكبر هى المخالفات والمناكير التى ملأت ديار المسلمين نحن نرى فى الربا قاصمة الظهر ومهلك الأمم ونرى كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة ونرى أن الناس لو أحسنوا الصلاة والصيام والقيام وعَبَدوا أنفسهم لله وصدقوا الله لرفع عنهم ماهم فيه .

نحن مجانين نحن حمقى نحن مجموعة من الغجر أو أعضاء المسرح التجريبى أو مسرح الحجرة أليس من حقنا أن تكون لنا وجهة نظر مختلفة؟

قرأ السلفيون القرآن فوجدوا رب الكون يقول ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ، وقرأوا القرآن فوجدوا الله يقول :ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، وقرأوا القرآن فعرفوا أن النصر والتمكين لا يكون بالمظاهرات والمغامرات والتحالفات بل النصر من عند الله وأن الله مع المحسنين والمتقين وأن من يتق الله يجعل له مخرجاً ، فلما وجد السلفيون أن الأمر كذلك جعلوا هذه المعانى أمام عينهم وانصرفوا إلى تعريف الناس بدينهم وردهم إلى ربهم وكفهم بالحسنى عن المخالفات ، خاصة بعد أن رأوا فصيلاً إسلامياً أضاع عشرات السنوات فى السياسة ولم يجن شيئاً رغم أنه لم يترك طريقاً إلا سلكه ولا باباً إلا طرقه ، وقدم عشرات التنازلات ولو بالكلام ومع ذلك فهم يراوحون فى مكانهم منذ عشرات السنوات . أيها العباقرة ، السلفيون ماضون فى طريقهم متبعون لكلام ربهم ونبيهم معظمون لأقوال علمائهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والواقع يشهد أن المستقبل بإذن الله لمنهجهم والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . السلفيون لهم شرع لا يصدرون إلا عن أمره ولا يتحركون إلا بقانونه

وأخيراً حين أخبرت شيخى فى لقاء منذ شهور عن كلام هؤلاء قال لى : قل لهم (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) .

انتهيت من كتابته بعد فجر يوم الأحد 25 -7-2010 بمدينة كوانزو بجنوب الصين بعد أن تعذبت بهذا المقال عشرة أيام نازعنى فيها عملى وطعامى وشرابى وحرمنى النوم حتى انتهيت منه راجياً أن يكون لى زلفى عند ربى

kaledshafey@yahoo.com

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عفواً ممنوع دخول السلفية والسلفيين

أحمد فهمي

مجلة البيان

هذا عنوان لافتة افتراضية تم غرسها على أعتاب القرن الجديد أو الألفية الثالثة أو الشرق الأوسط الجديد، أو غير ذلك من المسميات التي تختلف في تفاصيلها، وتتفق على شيء واحد وهو: لا مكان للإسلام الأصولي السلفي في العالم الجديد أياً كان اسمه.

ومحاكاةً للنمط الأمريكي في طرح الأسئلة ذات الخيارات المتعددة، قام أحد مراكز البحوث بإعداد دراسة مستقبلية مفصلة تجيب عن سؤال: كيف سيكون شكل العالم بعد 15 عاماً من الآن؛ وتحديداً عام 2020م؟ وشارك في إعداد خيارات الإجابة عدد من الخبراء والباحثين المتخصصين، وتبنى الدراسة المجلس القومي الأمريكي للاستخبارات (الشرق الأوسط، 2005/11/2م) وكان هناك أربعة خيارات أطلقوا عليها اسم «سيناريوهات المستقبل»:

(1) إمبراطورية إسلامية من المغرب إلى إندونيسيا.

(2) عالم من الفوضى والإرهاب.

(3) عالم تسوده العولمة بدون سيطرة أمريكية.

(4) عالم تسوده القيم الأمريكية وتحكمه واشنطن.

وقد تلقف الرئيس الأمريكي على الفور هذا المضمون وحذر في إحدى خطبه الأسبوعية من الإمبراطورية الإسلامية القادمة.

هذا الخوف من الإسلام ـ بشقيه الحقيقي والمفتعل ـ يحتاج إلى سؤال آخر على النمط الأمريكي أيضاً، وهو: تتعدد المناهج والتيارات المطالبة بعودة الإسلام؛ فأيها تخشى أمريكا تحديداً؟:

(1) التيار الإسلامي السياسي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(2) التيارات السلفية.

(3) الطرق الصوفية.

(4) المؤسسات الدينية الرسمية.

وقد قدمت مراكز الأبحاث الأمريكية إجابة واضحة عن هذا التساؤل، باختيارها للتيارات السلفية مصدراً عاماً للقلق والتوتر.

وهنا نأتي إلى السؤال الثالث وهو: ما هي أفضل الطرق للتعامل مع الخطر الذي تمثله السلفية؟: (1) استبدالها بمناهج وأفكار أخرى. (2) الإقصاء. (3) الاحتواء؟

ونحاول في هذه الورقات أن نقدم الخيار الأكثر ترجيحاً للإجابة عن السؤال الأخير.

3 استبدال السلفية:

يقوم مفهوم الاستبدال على قيام جهات الضغط الغربية ـ بطرق غير مباشرة غالباً ـ بتحفيز وتشجيع تيارات ومناهج أخرى لكي تقوم كبديل للمنهج السلفي في الدول الإسلامية. وترتكز فكرة الاستبدال على وجود رغبة عامة وعارمة لدى الجماهير في التدين. وانبعاث هذه الفكرة ـ التبديل بين أنماط التدين ـ في العقلية الغربية وتناميها لدرجة القناعة يدل على تطور خطير في نظرتهم وتفسيرهم للسلوك الديني للمسلمين، وقد كانت الفكرة القديمة تنحصر في تجفيف منابع التدين واستبدال الدين بأفكار علمانية براقة، ولكن مع فشل هذه الفكرة، بدأ الكثيرون ينتقلون إلى مرحلة تالية، وهي: فلندع المسلمين يتدينون كما يريدون، لكن فلنقدم لهم نحن (التوليفة) المناسبة للتدين.

وتكمن خطورة السلفيين بالنسبة لخصومهم في أنهم يقودون الناس في قطار سريع يصلهم مباشرة بين الواقع ومصادر التشريع، أما غيرهم من التيارات فيأخذون الناس في جولة سياحية تطول وتقصر بحسب المنهج، وأحياناً تتحول الرحلة بمجردها إلى هدف منشود.

والعناصر الرئيسة المتضمنة لـ (توليفة) التدين الأمريكية:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

1 ـ رموز ودعاة مستقلون يقدمون نمطاً متطرفاً في تسامحه واعتداله ليبرز النمط السلفي للتدين على أنه متطرف في فهمه وتمسكه بتعاليم الإسلام.

2 ـ غطاء وحاجز سياسي توفره التيارات السياسية التي تنظر للتيارات السلفية على أنها معوق لتقدمها السياسي، كما أنها على استعداد لتقديم تنازلات دينية في سبيل تحقيق مكاسب سياسية.

3 ـ الربط الوثيق بين السلفية العلمية والدعوية وبين السلفية الجهادية، بحيث يصبح الجميع منهجاً واحداً متعدد المراحل أو المستويات.

4 ـ إفساح المجال في عدد من البلدان الإسلامية لدعاة التصوف وخاصة الذين طوروا خطابهم في مرحلة ما بعد 11 سبتمبر، والذي يقفزون فيه على كل ما يثير الغرب في الإسلام، ويقدمون صياغة جديدة قابلة للتسويق في الثقافة الغربية.

ونقدم تفصيلاً أكثر لعنصري: دعاة الاعتدال، والمتصوفة الجدد.

العنصر الأول: دعاة الاعتدال:

وقد بدأ نجمهم في البزوغ في السنوات الأخيرة وخاصة بعد 11 سبتمبر، وأهم صفتين تمثلان جواز المرور لهذه الفئة من الدعاة أنهم يتجاوزون نقاط الاختلاف الساخنة مع الغرب، ويقفزون على قضايا الولاء والبراء والقضايا العقدية إجمالاً، كما أنهم لا يرتبطون غالباً بأي انتماءات لجماعات إسلامية عليها علامات استفهام غربية.

وفي الحقيقة فإن هذه الفئة من الدعاة رغم إيجابيات تحققت على أيديهم بإذن الله، فإنهم يلعبون دوراً خطيراً في وقف التوجه الشعبي نحو الإسلام الحقيقي بشموليته لجميع جوانب الحياة؛ فهم يمثلون مكابح للتدين تقف بالناس عند مرحلة معينة متوسطة بين الانحراف عن الدين وبين الإسلام كما يقدمه المنهج السلفي، ليقولوا لهم: نهنئكم بسلامة الوصول؛ لقد أصبحتم متدينين.

ولا يُخفي عدد من المفكرين والكتاب الغربيين أن هذا بالفعل هو مفهومهم عن أي إصلاح أو نهضة إسلامية. يقول (روبرت سبنسر) مدير موقع مراقبة الجهاد (jihad watch): يجب على النهضة الإسلامية أو الإصلاح ـ أيهما شئت ـ أن تكون إلغاء واضحاً للحرفية القرآنية، وإن لم تكن كذلك؛ فكيف ستُمنَع هذه الحرفية من الظهور مجدداً؟».

ولكن المؤسف أن التنازلات التي يقدمها دعاة الاعتدال قد لا تلقى ترحيباً لدى الطامعين في المزيد، وفي مقدمة هؤلاء الحاقد الأكبر على الإسلام (دانيال بايبس) صاحب الحظوة في البيت الأبيض الذي كتب مقالة بعنوان «كيف نحدد المسلمين المعتدلين؟» نشرتها صحيفة (نيويورك صن)، ويقول فيها: «هناك المزيد من المعتدلين المزيفين الذين يصعب الكشف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عن تطرفهم، حتى وإن كان المراقب هو مثلي ويكرس الكثير من الوقت والانتباه إلى هذه القضية». ونحن لم نسمع من قبل عن معتدلين يلبسون «طاقية» الإخفاء، وخاصة أن المسلمين السنة لا يعتمدون «التقية» في دينهم. ويقدم «بايبس» توضيحاً أكثر لمراده: «الإسلامويون ـ يعني المتطرفين ـ يعون الحاجة إلى المسلمين المعتدلين وهم يتعلمون كيف يتظاهرون بالاعتدال، ولا شك أن هذا التمويه سيتحسن مع الوقت».

العنصر الثاني: المتصوفة الجدد:

ونحتاج إلى بعض التفصيل لهذا العنصر نظراً لأهميته وخطورته على الدين الحق، وهناك دلائل كثيرة تشير إلى أن السياسة الأمريكية باتت تنظر إلى الصوفية «المعدلة» على أنها يمكن أن تمثل بديلاً مناسباً للتدين لدى عامة المسلمين، ونذكر فيما يلي بعض هذه الدلائل، ثم نقدم نموذجين للمتصوفة الجدد:

ـ في عام 2003م عقد مركز نيكسون للدراسات في واشنطن مؤتمراً عنوانه «فهم الصوفية والدور الذي ستلعبه في السياسة الأمريكية» وكان من أبرز الحضور الدكتور برنارد لويس وهو من أبرز الناقمين على الإسلام، والدكتور كوركوت أوزال شقيق الرئيس التركي الأسبق تورجوت أوزال، ومحمد هشام قباني رئيس المجلس الإسلامي الأمريكي.

ـ ووزع في المؤتمر دراسة بيانية توضح الجماعات والمذاهب الإسلامية والمنتمين إليها، وجاء فيها أن مجموعة السلفية هم الذين ينتمون إلى مدرسة ابن تيمية، وأطلقوا عليها «مجموعة الإسلام السياسي» ووضعوها داخل دائرة حمراء، واعتبروا من بينها: الوهابية ـ الجماعات الفلسطينية الإسلامية ـ الجماعات الإسلامية السلفية ـ حزب التحرير ـ جماعة التبليغ.

ـ يعتبر المجلس الإسلامي الأمريكي الصوفي الذي أسسه هشام قباني مصدراً مهماً للمعلومات لدى الإدارة الأمريكية عن الإسلام والمسلمين، وكان بول وولفويتز مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق يعقد لقاءات دورية مع أعضاء المجلس للتشاور معهم حول قضايا الإرهاب «الإسلامي».

ـ بعد فوز حزب العدالة والتنمية بزعامة أردوجان الصوفي النقشبندي، بدأ مسؤولون في السفارة الأمريكية في تركيا بزيارة الجماعات الإسلامية التركية ودراستها عن قرب، والاطلاع على حجم شعبيتها وتأثيرها، والتباحث مع قادتها حول رغبة الأمريكيين في استخدامهم في نشر الإسلام المعتدل خارج تركيا ضمن إطار الشرق الأوسط الكبير، وفي المقابل كانت وعود بدعم مالي وسياسي ومنح دراسية لأتباعهم في أمريكا. (راجع موقع الصوفية على شبكة الإنترنت).

ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى نموذجين يمثلان التيار الصوفي الجديد: أولهما: الداعية علي الجفري، والثاني: الدكتور محمد هشام قباني المقيم في الولايات المتحدة.

فالأول ـ الجفري ـ برز بقوة عن طريق مواعظه للنخبة الفنية والطبقة الغنية في مصر، ثم عبر الفضائيات؛ وذلك بعد 11 سبتمبر، وبدا أن الطريق أمامه مفروش بالورود؛ ففي خلال وقت قصير زار الولايات المتحدة وطاف في تسع ولايات، وألقى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

دروساً ومحاضرات بعضها في جامعات أمريكية، في الوقت الذي مُنع فيه حفيد الشيخ حسن البنا الدكتور طارق رمضان من دخول الولايات المتحدة، وتكرر ذلك مع الداعية البريطاني الجنسية والمولد يوسف إسلام، كما زار الجفري بريطانيا وأيرلندا وهولندا وبلجيكا، بالإضافة إلى إندونيسيا وسريلانكا وكينيا وتنزانيا ولم يفوت جزر القمر.. (راجع مقالة أنور قاسم الخضري رئيس تحرير صحيفة الرشد اليمنية، موقع صيد الفوائد).

والنموذج الثاني «هشام قباني» ـ من أصل لبناني ـ الذي أسس ما يسمى المجلس الإسلامي الأعلى، وهو منظمة صوفية في الولايات المتحدة، ويحظى الرجل بدعم كبير من الإدارة الأمريكية، ودُعي إلى البيت الأبيض والخارجية، وألقى محاضرات على مسؤولين في واشنطن إحداها كانت بعنوان «التطرف الإسلامي وخطورته على الأمن القومي الأمريكي».

ويبدي الدكتور هشام قباني عداء خاصاً للسلفية ممثلة في الدعوة الوهابية، ويُعتبر أحد مصادر المعلومات والتحريض ضدها في أمريكا، وهو يدعي أن 80 % من المساجد في أمريكا يسيطر عليها المتطرفون الوهابيون، ويتجول قباني في أنحاء العالم بحرية، وهو يقول: «في رأيي المتواضع أن الصوت المهيمن والمسيطر هو صوت الوهابية؛ فهم يسيطرون على النشرات والكتب والأموال، فكل شيء في أيديهم» وهو يعرض الصوفية كبديل واضح للوهابية فيقول مخاطباً من يعنيه الأمر: «علِّموا الطلاب الصوفية، يجب أن يتعلم الطلاب كيف يصبحون محبين للسلام، وكيف يصبحون جزءاً من المجتمع الكبير؛ فالوهابية تحرض الطلاب على ألا يكونوا جزءاً من المجتمع الكافر، ولكن ينبغي الاندماج والتكامل مع النظام الذي يعيش فيه المرء، أما الدين فمسألة بين المرء وبين الرب، هكذا يقول الإسلام» (نقلاً عن صحيفة صندى استريت تايمز، موقع إسلام ديلي).

وقد زار قباني ضمن الدول الإسلامية أوزبكستان ثلاث مرات، وكان في كل مرة يكيل المديح والثناء على رئيسها كريموف الطاغية الذي ألقى بعشرات الآلاف من الإسلاميين في السجون، وأغلق المدارس الدينية وحارب الحجاب وأغلق عدداً كبيراً من المساجد، وفي زيارته الأخيرة اصطحب وفداً تعداده 120 شخصاً طافوا أنحاء أوزبكستان يشوهون الإسلام ويلقون في أذهان الناس أوهام الصوفية المعتدلة!!

والحال هكذا؛ فليس غريباً أن تنشر مجلة يو إس نيوز الأمريكية أن واشنطن تسعى لتشجيع ودعم الحركات الصوفية كإحدى وسائل التصدي للجماعات الإسلامية، ويشمل ذلك تشجيع إعادة بناء الأضرحة وترجمة المخطوطات الصوفية القديمة، ويعتقد استراتيجيون أمريكيون أن أتباع الصوفية ربما كانوا من بين أفضل الأسلحة الدولية ضد الإسلاميين «المتشددين»!

وقد استرعى انتباه متخصصين أمريكيين الصراع بين الحركات الإسلامية السلفية وبين الطرق الصوفية، ولذلك قررت الإدارة دعم الصوفية ولكن بصورة غير مباشرة، وذكرت المجلة الأمريكية أنه في إحدى الدول العربية في شمال إفريقيا دعا قادتها في هدوء زعماء الصوفية المحليين، وقدموا لهم ملايين الدولارات كمعونة لاستخدامها كحصن ضد الأصولية المتشددة.

كما أوصت لجنة في الكونجرس الأمريكي مختصة بالحريات الدينية بتشجيع الحركات الصوفية في العالم الإسلامي، وفي كتاب أصدرته الباحثة شيريل بينارد ـ وهي زوجة سفير أمريكا في العراق زلماي خليل زاده ـ بعنوان (العالم الإسلامي بعد 11 / 9) تناولت الحركات والمذاهب الدينية القادرة على التغيير في العالم الإسلامي، وكتبت عند كلامها عن الصوفية أنهم: «يشكلون غالبية المسلمين اليوم وهم محافظون على معتقداتهم الإسلامية وتقاليدهم المحلية، غير متشددين، يعظمون قبور

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القديسين ويؤدون عندها الصلوات، ومجموعة الاعتقادات هذه أزالت تماما التعصب والشدة الوهابية وأصبح الكثير من التقليديين يشابهون الصوفية في السمات والاعتقادات، ولا يرون تضارباً بين معتقداتهم الدينية وولائهم لدولهم العلمانية وقوانينها» وقالت أيضا: «الوهابية والسلفية هم أشد أعداء الصوفية والتقليدية في العالم الإسلامي، ونتيجة لهذا العداء فالصوفية والتقليدية هم حلفاء طبيعيون للغرب في حربهم ضد الراديكالية». (راجع صحيفة دنيا الوطن على الإنترنت 2005/11/17م).

ولكن في المجمل: فإن مصطلح «الاستبدال» مع كل ما سبق لا يقدم وصفاً دقيقاً للحملة الغربية على التيارات السلفية؛ فالأمر تجاوز مرحلة الاستبدال بكثير، كما أن بعض الدول الإسلامية التي توفرت لديها بدائل السلفية لا تزال ـ من وجهة نظر غربية ـ ضمن دائرة الخطر السلفي، ويمكن تفسير ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: السلفيون لا ينبع خطرهم من الكثرة العددية كما هو الحال بالنسبة للتيارات الأخرى، بل ينبع خطرهم في الأساس من الفكرة التي يحملونها وقابليتها للانتشار بسهولة، ونحن نضيف إلى ذلك تفسيراً آخر إسلامياً، وهو أن نمط الالتزام السلفي هو النمط الأكثر توافقاً مع الفطرة، بمعنى أنه لو تُرك الناس لحالهم لرجعوا إلى الإسلام وطبقوا أحكامه كما هي مبينة في الكتاب والسنة، ودون مؤثرات خارجية سوف يقودهم ذلك بيسر إلى المنهج السلفي.

ثانياً: يمكن التمثيل على تباين التيار السلفي مع التيارات الأخرى من حيث ارتباط الكثرة العددية بقوة التأثير، بالوضع في مصر؛ فمن حيث العدد والانتشار، تأتي الطرق الصوفية في المقدمة حيث يُعد أنصارها بالملايين، ثم تأتي جماعة الإخوان المسلمين، ثم التيارات السلفية آخراً، ورغم ذلك فإن المفاهيم السلفية منتشرة في مصر ولها تأثيرها، ويستدل على ذلك بحجم ونوعية الكتاب الإسلامي المتداول والمرتبط بالسلفية مقارنة بمثيله لدى التيارات الأخرى.

ثالثاً: مشكلة السلفية أو الوهابية مع العالم الغربي أنهما يطالبان بالعودة إلى منابع الإسلام الصافية ـ الكتاب والسنة ـ وتحكيمهما في كل صغيرة وكبيرة بصورة مباشرة، ويمتلك الغربيون قناعة قديمة تمتد لمئات السنين بأن تلك المنابع الصافية هي مصدر بلائهم، وأن أي جماعة أو تيار يبدو حريصاً على التمسك بها لا مفر من مواجهته، وهذه هي جريرة السلفية أو الوهابية. «إن المتعصبين الوهابيين يقولون إنهم سيعيدون الإسلام النقي، وأقول: إن هذا يعني محو مئات السنين من الشعر والأدب والعمارة والفن والموسيقى» [الكاتب الأمريكي المتخصص في الشؤون الإسلامية ديفيد شوارتز، صحيفة ويكلي ستاندارد]، ويقول روبرت سبنسر: «كون الإصلاح الوهابي كان عنيفاً وقاسياً فهو انعكاس للنصوص الأساسية لدينه الذي نذر له نفسه وأتباعه في تعصب لا يرحم» [موقع إسلام ديلي].

3 احتواء السلفية:

هناك فكرة دقيقة تحتاج إلى تأمل، وهي: وجود فرق بين السلفية والسلفيين، وهذا يعني أنه عندما نتحدث عن احتواء السلفية كفكر فهذا يختلف عن احتواء السلفيين كحاملين لهذا الفكر، وإذا كان احتواء الفكر أهم وأخطر من احتواء حامليه ـ من وجهة نظر الخصوم ـ إلا أنه لن يمكن احتواء الفكر إلا بعد احتواء حامليه، أو على الأقل احتواء عدد مؤثر منهم، وهذا ما يحدث الآن في عدة بلدان إسلامية، من جهود حثيثة تبذل لاحتواء أكبر عدد ممكن من رموز السلفيين وأتباعهم، وبات من الأمور المعتادة أن نجد جماعات ورموزاً سلفية لهم مذهبان: قديم وجديد. ومن الأمور التي ينبغي الإشارة إليها هنا، لارتباطها بهذه الجزئية،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أنه عند تأمُّل تاريخ الجماعات الإسلامية نجد هناك منعطفين خطيرين تواجههما الجماعات في بداية نشأتها ثم عند تراجعها ـ كما هو الحال الآن ـ.

في المنعطف الأول: عادةً ما تكون الانشقاقات أو المراجعات في اتجاه مزيد من التمسك بالجذور والأصول، وللدرجة التي تصل أحياناً إلى التطرف والتكفير، ولكن بعد عقود وعندما تمر الجماعات بمراحل من الضغوط والمواجهات والمحن، عادة ما تكون الانشقاقات أو التراجعات في اتجاه مزيد من التخفف أو التخلص من عبء بعض الثوابت، وأقرب مثال على ذلك (جماعة الإخوان المسلمين) ففي مصر، في مرحلة الستينيات كانت أبرز الانشقاقات في اتجاه التكفير، وتمثلت في (جماعة التكفير والهجرة) التي انشق مؤسسها عن فكر الإخوان، ولكن في السنوات الأخيرة كانت أبرز الانشقاقات متمثلة في (حزب الوسط) تحت التأسيس، والذي يخطو بقوة في اتجاه التوافق مع النظام وتيارات المجتمع العلمانية أو غير المسلمة.

هذه الحقيقة التاريخية تعطينا نتائج هامة، لعل من أبرزها: أن أهم آلية لاحتواء السلفيين ـ ومن ثم السلفية ـ في الوقت الحالي هي في ممارسة مزيد من الضغوط والحصار عليهم، وأخطر وسائل الضغط ـ وعلى غير ما يتوقع الكثيرون ـ هو أن يُفتح المجال أكثر للرموز السلفية كي يخرجوا من ميدانهم الرئيس، ويبرزوا للعلن وللجماهير من خلال الإعلام وفي ميادين لا يملكون أدواتها؛ حيث يواجهون عالماً تغيرت مفاهيمه وثوابته وأصبحت له قواعده الخاصة، وعندها سيجد السلفيون المطروحون للعلن أنه لا بد من تقديم جوازات المرور المتمثلة في التخلص من عبء بعض الثوابت، ولا بأس من طمأنة الغيورين ودغدغة مشاعرهم بأنه لا يوجد تغير أو تراجع، ولكن كل ما في الأمر أنه لا بد من التعامل مع الإعلام بقدر من المداراة والمواربة.

ولكن على الجانب الآخر فإن تراجعات السلفيين تمثل لخصومهم بيضة القبَّان التي لا تُترك؛ فسرعان ما يضعون أيديهم في الشق المتسع في قناعات الرموز المتراجعة ليزيدوه اتساعاً وتراجعاً، وليتراكم كل ذلك في خانة المنهج السلفي، لتصبح مهمة الدعوة السلفية، كما يُبرزها هؤلاء، ليست في ضبط مؤشر الانحرافات في المجتمع لكي يقترب أكثر من الإسلام، ولكن في ضبط مؤشر الالتزام لكي يقترب أكثر من المجتمع تحت شعار تصحيح المفاهيم.

وهناك آلية أخرى لاحتواء الفكر السلفي، وهي ضغط الاعتقال، وقديماً كانت السجون تعتبر أحد محفزات الغلو والتكفير كما حدث في مرحلة الستينيات في مصر، ولكن في السنوات الأخيرة أصبحت السجون عاملاً حافزاً للتراجعات والمراجعات كما حدث مع الجماعة الإسلامية في مصر أيضاً.

والمشكلة الأساس في قضية الاحتواء أن الرمز السلفي الذي يتم احتواؤه ومن ثم تراجعه عن مقتضيات السلفية، لا يقر بتراجعه أو تنازله، بل يعتبر ذلك تجديداً وتطويراً يُنسب للمنهج السلفي، وذلك هو بيت القصيد بالنسبة لخصوم السلفية؛ لأنه لو أعلن الرمز المتراجع عن تغيير انتماءاته لما كان لتراجعه أي فائدة؛ فالهدف المنشود هو تغيير معالم المنهج السلفي بأيدي أبنائه أنفسهم، يعني: تفكيك السلفية من الداخل.

ومن هنا تنبع أهمية التنقية المستمرة للمنهج السلفي من العلائق التي تنسب إليه مع تكاثر الضغوط وتتابع المحن، وأيضاً تربية السلفيين والجماهير على الارتباط بالمنهج والحق والثوابت بغض النظر عمن يتبعها أو يدعو إليها، وكفانا تمجيداً للشخوص على حساب الأفكار؛ فنحن في عصر أصبح فيه الثبات عملة نادرة، وهذا ما لفت إليه أحد علماء السلف عندما جاءه رجل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

متحمس فقال له: أتناظرني؟ فرد عليه قائلاً: فإن غلبتني؟ قال الرجل: تتبعني.. قال العالم: فإن جاء ثالث فغلبنا؟ قال الرجل: نتبعه.. فقال العالم: إذن يصبح ديننا التنقل!

وحتى لا تصبح السلفية مرادفاً للتنقل كما يريدها خصومها، ينبغي أن نعيد التأمل مرات ومرات في حديث النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي يحفظه كل السلفيين: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يَردا عليَّ الحوض» (رواه أبو هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 2937).

وكما نرى في الواقع فإن هناك طريقتين للتمسك بالكتاب والسنة: إحداهما: بحملهما على الأكتاف، حيث يصبحان ثقلاً وعبئاً على حاملهما، ومثل ذلك يشغله الشعور بالعبء عن تلمس النصح والتوجيه. والطريقة الأخرى للتمسك بالكتاب والسنة في دفعهما للأمام من أجل الهداية والإرشاد، وفارق كبير بين من يتخذ القرار أو الحكم ثم يبحث عما يؤيده أو يلمح إليه من آية أو حديث، ومن يبحث فيهما أولاً ليتخذ قراره وحكمه وفق ما ترشد إليه الآيات والأحاديث.

3 إقصاء السلفية:

في أوقات سابقة في بعض الدول الإسلامية كان تصريح أحدهم: أنا سلفي.. يعد بمثابة إذن مرور لممارسة كثير من الأنشطة والتحرك الدعوي بحرية ويسر، ولكن الآن أصبح الوضع مختلفاً، وأصبحت السلفية في قفص الاتهام في بلدان كثيرة، وبات السلفيون تحت المجهر؛ فما الذي تغير؟ إنه ببساطة: الإقصاء.

والمنطلَق الأول لتبرير وتسريع إقصاء السلفية هو الربط التعسفي بين السلفية العلمية والدعوية وبين السلفية الجهادية، ويمارس الكُتَّاب الغربيون الخلط بين التيارات الإسلامية المختلفة، والخلط بين مبادئها ومفاهيمها بعلم أو بجهل أحياناً. يقول أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي: «عقيدة الوهابيين تنص على قتل كل من هو غير وهابي» وكتبت الصحفية الأمريكية (سـوزان سميث) في الواشنطن بوست: «الأشخاص الذين لا يعتنقون الوهابية يعتبرون كفاراً» (راجع موقع إسلام ديلي).

إنها إذن استراتيجية متعددة المراحل: استبدال ـ احتواء ـ إقصاء. وهذا يعود بنا إلى السؤال المطروح في مقدمة المقال عن كيفية مواجهة التيارات السلفية؛ فالإجابة الصحيحة تتضمن الخيارات الثلاثة وليس خياراً واحداً.

ولا ريب في أن هذا التنوع في مواجهة السلفية يبدو متناسباً أكثر مع كون التيارات والفكر السلفي يتفاوت حجم ومستوى انتشاره بين البلدان الإسلامية، ومن ثَم لا بد أن تختلف طرق مواجهته من المنظور الغربي؛ فبعض الدول حققت إنجازات مسبقة وتجاوزت مرحلة الاستبدال بالفعل، وهي الآن ما بين الاحتواء والإقصاء مثل مصر، وبعض الدول تجاوزت المراحل الثلاث مثل تونس وليبيا، ودول أخرى لا تزال بين الاستبدال والاحتواء. هذا التحليل يفرز لنا نتيجة بالغة الأهمية، وهي أن سياسة الاحتواء تمثل عاملاً مشتركاً حالياً في عدد كبير من الدول الإسلامية وهو ما يستدعي متابعتها والتعليق عليها، ولكن ربما يتيسر ذلك في مقالات أخرى بمشيئة الله تعالى.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أعداء المنهج السلفي... بدائل أمريكية مقترحة

كمال حبيب

مجلة البيان

حين نقول المخططات الأمريكية فإننا نعني بذلك وجود أموال وعلماء وأجهزة مخابرات ومراكز أبحاث على أعلى مستوى، وأيضاً «الميديا» ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة، أو ما عبر عنه التقرير الأمريكي المهم الذي نشرته مجلة «يو إس نيوز آند وورلد ريبورت» بعنوان «قلوب وعقول ودولارات»، وفي هذا التقرير الخطير المنشور هذا العام يكشف عنوانه ومضمونه أن «حرب الأفكار والعقول» هي الأهم على جبهة المواجهة بين العالم الإسلامي وأمريكا ومن ورائها العالم الغربي.

وحرب الأفكار وكسب القلوب والعقول هي الجناح الآخر المهم الذي يساند الحملة العسكرية الأمريكية في حربها المزعومة على الإرهاب، ويعترف التقرير أن معركة الأفكار والعقول والقلوب لها صلة مباشرة بالأمن القومي الأمريكي؛ فكما يقول التقرير «أمريكا لها مصالح متصلة بأمنها القومي ليس فيما يحدث داخل العالم الإسلامي وإنما داخل الإسلام ذاته كدين».

أي: أن أحد أهم أهداف حملة الديبلوماسية العامة الأمريكية في العالم الإسلامي هي تغيير جوهر الإسلام ذاته؛ فالتقرير يعتقد أن أحد أهم مصادر الأصولية الإسلامية والتشدد الإسلامي ـ والذي تحاربه أمريكا وفق دراسة «للبنك الدولي» ـ هي المدارس الإسلامية التقليدية. ويقدِّر التقرير أن هناك حوالي نصف مليون طالب مسلم يتعلمون في هذه المدارس بباكستان، وأنه لا بد من تشجيع ذويهم على سحبهم من هذا التعلم التقليدي إلى التعلم العلماني، الذي تنفق عليه برامج حملة الديبلوماسية العامة الأمريكية هذه التي تصل ميزانيتها إلى أكثر من مليار دولار.

وفي الواقع فإن تعبير «حرب الأفكار والعقول» صكّه «بول وولفويتز» أحد مهندسي الحرب على العراق ونائب وزير الدفاع الأمريكي وأحد الصقور الخطيرة في الإدارة الأمريكية في عام 2002م حين قال: «إن معركتنا هي معركة الأفكار ومعركة العقول، ولكي نكسب الحرب على الإرهاب لا بد من الانتصار في ساحة الحرب على الأفكار». وتبنّت التعبير بعده بعام «كونداليزا رايس»، ثم أصبح أحد التعبيرات المهمة للإدارة الأمريكية كلها بما في ذلك «جورج بوش» نفسه(1).

ومعركة الأفكار وفق إدراك صنّاع القرار الأمريكي تعني أنك تخوض حرباً لتغيير جوهر الدين الإسلامي ذاته، وهذا يجرك إلى مناطق حساسة، مثل: كيفية فهم الإسلام وتفسير القرآن والفقه، بحيث يدعو هذا الفهم لما تريده أمريكا، وهو تقديم خطاب متسامح يركز على المشترك بين الإسلام والنصرانية؛ فهو خطاب ينبغي أن يخلو من فكرة الجهاد والقتال والولاء والبراء، كما يجب أن يخلو من العداء للكيان الصهيوني.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويعترف التقرير بأنه يواجه مشكلة حقيقية في التعامل مع العدو الإسلامي الأصولي، وهي أنه يحمل قيماً وأفكاراً دينية ومعنوية لم يعتد الأمريكان على التعامل معها من قبل مع العدو السوفييتي الذي كان ذا طابع إلحادي، بيدَ أن التقرير يسعى للاستفادة من الخبرة الأمريكية في التعامل مع الحركة الشيوعية عن طريق كسر القلب للحركة الإسلامية عن طريق ما أطلق عليه بوش «صدام حضارات داخل العالم الإسلامي وليس بينه وبين العالم الغربي» كما طرح هنتنجتون(1)؛ وذلك عن طريق دعم التيارات المعتدلة التي لا تتبنى الفهم المتشدد للدين الإسلامي بالمعايير الغربية؛ فهي تيارات بينها وبين العالم الغربي قيم مشتركة، مثل: الديموقراطية، وحقوق المرأة، وحقوق الإنسان كمرجعية مطلقة، والحريات المدنية والدينية، أي: أن التيارات المعتدلة التي تسعى أمريكا لدعمها أو استنساخها هي تيارات تعبر عن «الإسلام الأمريكي» الذي لا يجعل من الوحي مرجعيته الأساسية في الفهم، وإنما يجعل مرجعيته الواقع المتغير وضغوطاته.

ولدينا على مواقع مراكز الأبحاث الغربية مئات الدراسات التي تتحدث عن دعم الإسلام المعتدل كجزء من «الإستراتيجية الاتصالية» التي تتبناها أمريكا لكسب العقول والقلوب(2)، فكما استطاعت أمريكا أن تكسر الحركة الشيوعية في صراعها معها إبان الحرب الباردة إلى أجنحة متضاربة؛ فإنها تحاول تنفيذ الشيء نفسه داخل العالم الإسلامي بتعزيز الإسلاميين المعتدلين لكي يقوموا هم بالتضامن مع أمريكا في حربها ضد المتشددين من القاعدة وطالبان.

بيدَ أن أمريكا لا تقتصر فقط على القاعدة وطالبان كهدف لحربها، وإنما توسع الدائرة لتشمل أولئك الذين لا يلتزمون بالمعايير الأمريكية لفهم الإسلام، ومنهم السلفيون، والذين تصفهم أمريكا بأنهم أصوليون وهابيون أي: أتباع الشيخ «محمد بن عبد الوهاب». والسلفية هي منهج في التفكير يلتزم الطريقة التي فهم بها سلف هذه الأمة الأخيار ـ وهم علماء القرون الأربعة الأولى ـ القرآنَ الكريم والسنَة الصحيحة، وهي أيضاً منهج في الإصلاح يقوم على أن ما صلح عليه أمر المسلمين في أول بزوغ الإسلام هو الذي يصلح به أمر زماننا هذا والأزمان القادمة بعدها وحتى قيام الساعة؛ فالسلفية منهج في الفهم والإصلاح معاً(3).

وهنا تأتي المشكلة في المنهج الأمريكي أو حملة الديبلوماسية العامة الأمريكية؛ فبينما تسعى لكسب العقول والقلوب فإنها تسعى لكسبها وفق شروطها هي؛ بحيث تضع من لا يتابعها لتكسب عقله وقلبه في خانة العدو، وهي بهذا تضع المسمار في نعش هذه الخطة.

ذلك أن قطاعات واسعة من العالم الإسلامي ستقاوم كسب عقولها وقلوبها لصالح أمريكا، وترى أن عقلها وقلبها يجب أن يكون حيث يرضي ربها، والقطاعات المسلمة في العالم الإسلامي ستظل ترى الإسلام كما يريده الله وليس كما تريده أمريكا.

ومثلاً يقول «فوكوياما»: أنا أرى أن التوفيق ممكن بين الإسلام كدين وبين الحداثة؛ فالإسلام يمثل ديناً ونظاماً ثقافياً معقداً للغاية، وقد أثبت قدرته على التوافق مع الحداثة في عدد كبير من المجتمعات والأفراد، ولا أرى هناك سبباً يمنع من وجود شكل حديث للإسلام، غير أن «نوع الإسلام» الصحيح لا يمكن أن يتفق مع الحداثة، والقضية الأساسية هي إمكانية وجود دولة علمانية تجعل الإسلام بين حيطان أربعة(4).

فالمشكلة هنا ليست الحرب على «القاعدة»، ولكنها طريقة التفكير التي يفكر بها أكثر من مليار مسلم، وليس بالضرورة أن المسلمين المحافظين هم على توجه القاعدة؛ فالبون واضح جداً، وهذه تداعيات السلوك العسكري: يبدأ بمقاومة الإرهاب وفقاً

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

للرؤيـة الأصوليـة الإنجيـلية للإدارة الأمـريكـية الحـالية، ثم ينخرط في «حرب دينية واسعة» على العالم الإسلامي، تتصل بتعديل جوهر الإسلام نفسه؛ ليتلاءم مع المصالح والأمن القومي الأمريكي، وهو ما يستفز العالم الإسلامي ويقوده للدفاع عن عقيدته في مواجهة الهجمة الأمريكية، وهنا يتسع الخرق على الراتـق، ويبدو العالم الإسـلامي وكأنـه المستـهدَف رغم أنهم قد لا يلتزمون منهجه أو طريقته.

بالطبع تقرير «عقول وقلوب ودولارات»(1) الذي عمد إلى تدشين إذاعات مثل: «سوا» تخاطب عقول الشباب المسلم عبر النكات والموسيقى باعتبار أن الديموجرافيا العربية قاعدتها الأهم هي الشباب، ومثل: «قناة الحرة» وغيرها من الأدوات التي تتصل بـ (ورش العمل) ودعم مراكز الأبحاث والأشخاص والمجلات والإذاعات والمدارس والمساجد في بلدان مهمة في العالم العربي والإسلامي، مثل: مصر وأندونيسيا ونيجيريا وباكستان وأفغانستان وتركيا والمغرب ـ هذا التقرير هو عمل كاشف لنا في العالم العربي والإسلامي، ولكنه يحمل في طياته الكثير من عوامل الفشل والإخفاق، وهناك العديد من الدراسات الأمريكـية التي نقدته من المنظور الأمريكي، وهذا مكرهم: {وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْـجِبَالُ} [إبراهيم: 46] والله أشد مكراً {وَاللَّهُ خَيْرُ الْـمَاكِرِينَ} [آل عمران: 54].

3 تقرير راند والمخططات الأمريكية (2):

صدر هذا التقرير المهم أيضاً في شهر فبراير عام 2004م بعنوان يسترعى الاهتمام: «الإسلام المدني الديموقراطي، الشركاء والموارد والإستراتيجيات»، والإسلام المدني أي: الإسلام العلماني الذي لا يستند لمرجعية الوحي هو الإسلام الأمريكي، ويعبر عنه كثير من الباحثين الغربيين بـ «تحديث الإسلام»، وهو يتحدث هنا عن الشركاء أي: الذين يشتركون معـ أمريـكا في فهـم الإسلام العصري أو الحداثي، وهم هنا من يسمون بـ «الإسلاميين الليبراليين».

في مقدمة التقرير تتناول الباحثة «شيريل برنارد» مسألة أن العـالم الإسـلامي يمـثل معـضلة أمنيـة وإستراتيجية للولايات المتحـدة الأمريكية والغرب، ومن ثم فلا بد من التدخل لضبط أوضاعه لصـالح التماهي مع الديموقراطية الغربية «أمريكا والعالم الصناعي الحديث والمجتمع الدولي يفضل وبوضوح عالم إسلامي متناسق مع بقية المنظومة»، والتناسق مـع بقـية المنظـومة معنـاه بناء إسلامي علماني حداثي كما يقول التقـرير، ومن ثم فمجال العمل هو «علمنة الإسلام» نفسه عبر إعادة تشكيله من جديد وفق المصالح والقيم الأمريكية والغربية.

ويقسم التقرير الأمريكي الاتجاهات الفكرية في العالم الإسلامي إلى:

أولاً: الأصوليون: وهم الذين يرفضون القيم الغربية والديموقراطية، ويسعون لمقاومة التغريب ومقاومة الغرب ومناكفته، وهؤلاء يجب أن يكونوا هدفاً للتحالفات الأمريكية الجديدة التي تسعى لعزلهم وإنهاكهم بل والتخلص منهم(3).

ثانياً: الحداثيون: وهم الذين يرون اللحاق بالقطار الأمريكي أملاً يسعون إليه، وهؤلاء هم «الليبراليون الجدد» وهم تقريباً أقرب للملاحدة؛ فليس لديهم إيمان سوى بقيم اللذة والمتعة، والغرب لديهم ليس وجهة للحاق به ولكنه دين ومرجعية تنتظم عقولهم وأفكارهم وفقاً لها، هم لا يؤمنون بخصوصية لعالمنا الإسـلامي؛ فالـكل يجـب أن يـكون عولمياً بلا مرجعية أخلاقية أو دينية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثالثاً: العلمانيون: وهؤلاء يرون أن يكون الدين في الحياة الخاصة ويؤمنون بفصل الدين عن المجال العام. وبعضهم يتبنّى رؤى قومية أو وطنية أو يسارية.

رابعاً: التقليديون: وهم المتخرجون من المدارس التقليدية الإسلامية، مثل: الأزهر أو المدارس الإسلامية في باكستان وغيرها، وهؤلاء التقليديون ـ أي العلماء وطلبة العلم الذين درسوا علوم الدين بالطرائق التقليدية وإلهم ينتمي فئة من العلماء المسلمين ـ وهم أداة تستخدمها أمريكا لمواجهة الأصوليين وعزلهم (هكذا يزعمون).

وتستند الإستراتيجية الأمريكية على الدعم المطلق للحداثيين والعصرانيين عن طريق:

ـ نشر وتوزيع أعمالهم بأسعار مدعومة، وتشجيعهم على التأليف للجماهير الواسعة والشباب، وإدراج آرائهم في مناهج التربية الإسلامية، ومنحهم أرضية مدنية، والأهم هو جعل أفكارهم وآرائهم في تأويل الدين متاحة لجمهور واسع على حساب الأصوليين والتقليديين الذين لهم مساحاتهم التي ينشرون فيها أفكارهم. والأخطر هو جعل العلمانية والحداثة خياراً ثقافياً محتملاً للشباب الإسلامي غير المثقف ثقافة إسلامية.

كما تستند على توظيف التقليديين في سياق الخطة الأمريكية لحصار الأصوليين؛ وذلك عن طريق:

ـ تعميق الخلاف بين الأصوليين والتقليديين، وترويج نقدهم لعنف الأصوليين، ومنع تحالفهم مع الأصوليين، والعمل على تقريبهم من الحداثيين، بل وتعلمهم وتكوينهم ليبقوا في مواقعهم في بعض الأماكن، مثل: آسيا الوسطى التي تنتشر فيها الحركات السلفية والجهادية، ودفع الحداثيين على الحضور بكثافة في مؤسسات التقليديين، واستغلال المذهبية التقليدية في مواجهة الوهابية التي تتبنى منظوراً جامداً وصلباً وفق الرؤية الأمريكية، ومن ثم لا بد من الإنفاق الذي يمثل مقابلاً مهماً للتيارات الجهادية والمقاومة للأمركة.

وتستند الخطة ـ أيضاً ـ على تحدي التأويل الأصولي للإسلام، والتشهير بالمنتسبين إليه، وإظهار أنهم خارجون عن القانون، وتشجيع الصحافة على التشهير بالدوائر الأصولية المعادية للغرب، وتوجيه هذه الرسائل إلى دوائر الشباب المسلم التقليدي والأقليات المسلمة في الغرب والنساء، ثم تشجيع الانقسامات في صفوف الأصوليين.

وفي النهاية يتحدث التقرير عن دعم التيارات العلمانية التي تتبنّى الرؤى الأمريكية والتي ترى أن الأصوليين خطر على أمريكا والعالم، ومنع تحالف العلمانيين أو بعض فصائلهم مع القوى الإسلامية المعادية لأمريكا، وتأكيد أن الرؤية العلمانية التي تفصل بين الدين والدولة تقود إلى تقوية العالم الإسلامي وليس إضعافه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في التحليل النهائي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى الدخول لعالم الإسلام الداخلي ممثلاً في العقيدة والفقه والحضارة والتاريخ ونظم الاجتماع والتشريع والتعلم والأحوال الشخصية ونظام التأويل والتفسير ومنهج فهم الإسلام وما نعبر عنه اليوم بالسلفية أي: الالتزام بنظم وقواعد فهم التشريع التي وضعها النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والعلماء والفقهاء الذين التزموا هذا الفهم وتابعوهم عليه، وتغيير ذلك كله وتأسيسه من جديد؛ وتبدو أمريكا هنا كأنها فرقة جديدة إسلامية ضالة تسعى لبناء أبستمولوجي اجتماعي جديد لنظام فهم الإسلام، ومن ثم فلن يقدَّر لها النجاح.

3 الاتجاهات الأمريكية البديلة:

تسعى أمريكا لتشجيع الاتجاهات التي لا تمثل تهديداً للأمن القومي الأمريكي وهي بطبيعتها علمانية وفرق تعبر عن التخلف داخل العالم الإسلامي، ومن هذه الاتجاهات المرشحة بقوة:

أولاً: الفِرَق الصوفية الغالية، التي تتبنى عقائد مهرطقة.

ثانياً: الفرق الباطنية، وهي فرق إلحادية تُسقط التكليف، وتتحدث عن باطن للشريعة لا يعرفه إلا مشايخها، كما تتحدث عن الحلول والاتحاد الذي يعني أن كل الأشياء واحدة، وأن أمريكا والعالم الإسلامي شيء واحد، وأن الإسلام والنصرانية شيء واحد. وهناك مفهوم وحدة الأديان في هذا السياق، وهو المفهوم الذي عبرت عنه أمريكا في مجلة «النيوزويك» حول بناء اتجاهات داخل الإسلام تراه نظاماً للصفاء الداخلي وليس نظاماً للكون والتشريع والعالم.

ثالثاً: الاتجاهات الشيعية في العالم الإسلامي ودعمها، كما هو حادث اليوم في العراق؛ خاصة الاتجاهات التقليدية، مثل: «اتجاه السيستاني» الذي يعمل لبقاء الهيمنة الأمريكية، ويعمِّق الطائفية على حساب أهل السنة والجماعة التي تراهم أمريكا أكبر خطر عليها في العراق والعالم؛ فالشيعة عبّروا عن مواقف طائفية في مواجهة أهل السنة والجماعة، ولذا تعمل أمريكا على تدعيم الاتجاهات الشيعية في كل منطقة يوجد بها أهل السنة، بل واستنساخ هذه الاتجاهات وإيجادها من العدم، كما هو الحال في مصر مثلاً؛ حيث تجد دعم الاتجاه الشيعي من الصحف العلمانية.

رابعاً: الاتجاهات المعتدلة من الحركة الإسلامية، أو ما يطلق عليه «تيار الإسلام السياسي»، مثل: الإخوان المسلمين في مصر، وحزب الوسط في مصر، أو حزب العدالة والتنمية في المغرب، أو حزب العدالة والتنمية في تركيا، والتي تعد النموذج لحملة الديبلوماسية الأمريكية العامة، والتي تقوم على إمكانية التعايش بين الإسلام والحداثة.

خامساً: الفقهاء التقليديون في مؤسسات لها وزنها، مثل: الأزهر، ومحاولة الحصول منها على تنازلات فقهية في الفتاوى، مثل: فتاوى فوائد البنوك، وفتاوى الصلح مع اليهود، وفتاوى تحريم العمليات الاستشهادية، وإيجاد حالة اضطراب بين هذه المؤسسات العريقة وبين الجماهير المسلمة، عبر الضغط من أجل تنصيب شخصيات لا تحظى بالعلم الشرعي الذي يؤهلها لمناصب المشيخة والإفتاء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

سادساً: دعم الاتجاهات التي تراجعت عن أفكارها، مثل: الجماعة الإسلامية المصرية، والتي يتم الضغط عليها بشكل منظم لطرح توجهات فكرية تخدم التوجه الأمريكي الجديد، كما أوضحه تقرير «راند»؛ حيث نجد مدرسة جديدة في التأويل الفقهي والديني تبتعد بقوة عن القواعد الشرعية الحاكمة للتأويل والتفسير والفهم وتتجه إلى القواعد المصلحية والواقعية.

هذه تقريباً هي أهم الاتجاهات البديلة التي تخدم التوجه الأمريكي الجديد لبناء إسلام مدني ديموقراطي حداثي مختلف عن الإسلام الذي نزل على نبيّنا «محمد بن عبد الله» -صلى الله عليه وسلم-. وهو ما يؤكد أن المعركة بين الحق والباطل ستظل قائمة وإن اختلفت العصور والوجوه والتكتيكات والإستراتيجيات، وعلى أهل الحق أن يفيقوا وينتبهوا ويرابطوا ويثبتوا» {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الزخرف: 43].

---

(1) عن مصطلح حرب الأفكار ومشكلة المصداقية التي تواجهها أمريكا في العالم العربي، والتي جعلت (98%) من المصريين يكرهون أمريكا، بينما بلغت هذه النسبة (73%) في الإمارات. راجع: عبد الوهاب الأفندي، الولايات المتحدة تخسر الجولة الأولى في حرب الأفكار، القدس العربي، 23/ 5 / 2005 وهو مقال مهم وأنصح بقراءته .

(1) يروّج «جورج بوش الابن» أن مفهوم صِدام الحضارات هو مفهوم داخل العالم الإسلامي، وليس بين الإسلام والغرب، وذلك لتبرير التدخل الأمريكي للّعب بعناصر الصدام هذه وتوظيفها لصالح مفهوم الأمن القومي الأمريكي.

www. Carnegieendowment.org , Amr Hamzay, The west and Moderate ISLAM (2)

وعلى هذا الموقع ستجد العشرات من المقالات في هذا الموضوع .

(3) كما قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها». وفي موضوع السلفية وأن لكل أمة سلفيتها بما في ذلك أمريكا نفسها التي ترجع إلى الحضارة اليونانية والرومانية لتستلهم منها الكثير من الرموز والأفكار راجع مثلاً: سلمان داوود الصباح، في السلفية الغربية والعنف والتسامح، القاهرة: مجلة الهلال، يوليو، 2005، ص 102 وما بعدها .

(4) محمد السطوحي، فوكوياما يتحدث إلى وجهات نظر، مجلة وجهات نظر، مارس، 2002، ص 10 وما بعدها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(1) عن الجدل حول التقرير راجع مثلاً: روبرت ستالوف، تقرير دجيرجيان عن الديبلوماسية العامة، الانطباعات الأولى في www.alshaqalarabi.org.uk

بتاريخ 12/3/ 2003، وروبرت ستالوف هو أحد الصقور الاستئصالية داخل الإدارة الأمريكية، وهو مدير التخطيط السياسي بمعهد واشنطن، وأيضاً نفس الموقع مارتن كرامر وموفق حرب، الصراع من أجل قلوب وعقول الشرق أوسطيين بعد 11 سبتمبر 2003/3/13.

(2) اعتمدنا على ترجمة للتقرير الذي أعدته مؤسسة «راند» الخيرية الأمريكية وثيقة الصلة بشركات إنتاج الأسلحة الأمريكية، وهي تتولى صياغة مناهج التعليم في العديد من البلدان الخليجية، مثل: قطر والكويت، والتقرير تضمن في نسخته الإنجليزية، مقدمة وثلاثة فصول وملخصاً وأربعة ملاحق وقائمة مراجع وتعريفاً بالمصطلحات المستخدمة.

(3) وعن مفهوم الأصولية راجع : يحيى ولد البراء، الأصولية في العالم المعاصر، الحياة 2004/5/8م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

السلفية:المفهوم والتحديات

محمد بن شاكر الشريف

مجلة البيان

لفظ (سلف) في اللغة يراد به ما مضى وتقدم؛ كما قال ـ تعالى ـ: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 275] كما يراد به القوم المتقدّمون؛ فكل من تقدم من الناس فهو سلف لمن جاء بعدهم. قال الله ـ تعالى ـ: {فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ} [الزخرف: 56]. وقد وردت مادة «سلف» في القرآن في ثمانية مواضع كلها دالة على ما تقدم ذكره. والملاحظ في اللفظ مطلق التقدم الزمني، دون الاقتصار على قوم معينين أو جماعة محددة من الناس. والسلف بمعنى من سبق، منهم الصالحون ومنهم الطالحون، والنسبة إليه سلفي. والسلف الصالح بالنسبة لنا هم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتابعون لهم بإحسان، والنسبة إليهم لا تعني إلا أن المنسوب إليهم السائر على نهجهم وطريقتهم؛ وعلى ذلك فالسلفية ليست جماعة من الجماعات، كما أنها ليست فترة زمنية من الفترات مرت وانتهت، وإنما السلفية تعني متابعة السلف الصالح في تعاملهم مع كتاب ربهم وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، في فهم الدين والعمل به والدعوة إليه، وهم أهل السنة والجماعة، مما يعني أن السلفية منهج علمي وعملي شامل ومتكامل تجاه النصوص الشرعية، وليست مجرد موقف علمي، وقد حث الله ـ تبارك وتعالى ـ على اتّباع السلف الصالح في قوله: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: 100]، كما قال عنهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»(1)؛ فهي بذلك منهج قابل للتكرار على اتساع الزمان والمكان.

لقد كان التزام المسلمين بالمنهج السلفي في التعامل مع نصوص الشريعة من حيث الفهم والعمل، ضمانة ثبات الدين عندهم وعدم تحريفه في أذهانهم، مصداقاً لقوله ـ تعالى ـ: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9] كما مكّن هذا الالتزام من التعامل مع النوازل والمستجدات بالطريقة نفسها التي تعامل بها السلف الصالح معها، مما يعني وحدة المنهج التي تؤلف بين المسلمين فتجعل منهم نسيجاً متجانساً، ولا يعني هذا عدم الاختلاف بين أصحاب المنهج السلفي في الفهم مطلقاً؛ فذلك أمر غير مقدور كما أنه ليس مطلوباً، وإنما يكون الخلاف في هذه الحالة خلافاً منضبطاً أي وفق أطر وقواعد معلومة، تنأى بالاختلاف في الفهم والاستنباط عن أن يكون تفرقاً في الدين، أو تفلتاً وخروجاً على النصوص، كما لا يعني العصمة في الفهم والعمل؛ بحيث لا تكون هناك أخطاء علمية أو عملية، فذلك أيضاً لم يُضمن لأحد غير الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. ومن أدبيات المنهج السلفي ما جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ رفعه قال: «ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويُدَع غير النبي -صلى الله عليه وسلم-»(2)، وتبعه في ذلك مجاهد فقال: «ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي -صلى الله عليه وسلم-»(1)، وقد ورد نحو هذا عن الأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى، وقد ورد نحو ذلك أيضاً عن كوكبة كبيرة من أهل العلم في جميع المذاهب.

لقد كانت طبيعة هذا المنهج الذي يلتزم بقول الله ـ تعالى ـ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات: 1]، وبقوله ـ تعالى ـ: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا} [الأحزاب: 36] سبباً رئيساً لأن يتحالف ضد متبعيه على طول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التـاريخ المتفـلتون الذيـن لم يقدموا الكتاب والسنة على ما عداهما مما يظنونه من اتباع العـقول أو المصـالح، بل عـدُّوا الكتاب والسنة كأحد ما يمكن أن يرجع إليه ضمن أشياء أُخر.

\ مفاهيم خاطئة عن المنهج السلفي:

يروّج المناوئون للمنهج السلفي بعض المفاهيم المغلوطة عنه، ويخلطونها ببعض التحليلات التي تعتمد على تلك المفاهيم؛ فمن ذلك دعواهم: أن المنهج السلفي منهج إقصائي حاد وعنيف يلغي الآخر المسلم ولا يعترف به، مما يترتب عليه تقسيم البلاد وتفتيت الجماعة، وتهديد الوحدة الوطنية، والعمل على تفكيك النسيج الاجتماعي، وهو يؤدي في النهاية إلى الاحتراب الداخلي، وهم يدعون لأجل ذلك إلى إقصاء المنهج السلفي، وإلى التمييع في متابعة الكتاب والسنة والسلف الصالح بزعم التمكين للتعددية الثقافية والمذهبية، وهذا بلا شك غير صحيح، بل أصحاب المنهج السلفي هم أهل اتِّباع السنة وأهل الجماعة والاجتماع؛ فهم حريصون على الجماعة يذمون التفرق ويصبرون من المخالف على الأذى. قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ في خطبته فيما صنفه من الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله قال: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى؛ فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم»(2)، وقد طبق ذلك ـ رحمه الله ـ عملياً؛ وموقفه العملي في ذلك مع المعتزلة الذين عذبوه وسجنوه معروف مشهور.

وهذا مالك بن أنس ـ رحمه الله تعالى ـ لما استشاره هارون الرشيد في حمل الناس على موطَّئه قال له: «لا تفعل يا أمير المؤمنين! فإن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تفرقوا في الأمصار، فأخذ كل قوم عمن كان عندهم، وإنما جمعت علم أهل بلدي ـ أو كما قال»(3).

ومواقف أصحاب المنهج السلفي في ذلك كثيرة مشهورة؛ فكيف يقال عنهم إنهم إقصائيون؟ وقد سُمي السلف الصالح بأهل السنة والجماعة من حرصهم على الالتزام بالسنة ومجانبة الابتداع، وعلى الاجتماع ونبذ الفرقة، وبهذا يظهر أن هذه مواقف أصيلة في المنهج السلفي وليست تنازلات مؤقتة فرضتها ظروف قاهرة. والشيء الغريب في ذلك أن الذين يرمون الاتجاه السلفي بهذه الفرية هم من يعلنون ويطالبون بإقصاء التيار السلفي، بل الأغرب من ذلك أن من قَبِلَ من هؤلاء بالحل الديمقراطي وأن يكون قرار الشعب هو الفاصل، تجده يقول: ولكن كيف نفعل ذلك من غير أن يصل أصحاب المنهج السلفي إلى الحكم؟ فحتى النظام الانتخابي الذي ارتضوه يسعون إلى صياغته ليكون قائماً على الإقصاء.

ومن ذلك حديثهم أن أصحاب المنهج السلفي لا يستطيعون العيش بدون معارك داخلية مع العلمانيين والروافض وغيرهم، والشيء الغريب أن أصحاب هذه الأقوال هم من يقومون بمعارك داخلية عنيفة وإقصائية مع من يختلفون معهم، لكنهم لا يقبلون أن يردَّ عليهم أحد؛ فهم ينكرون على غيرهم ما هم غائصون فيه إلى الأذقان، ولكن بفارق مهم هو أنهم لا مرجعية لهم في إنكارهم على السلفيين.

فمن المعلوم من دين الإسلام وعند كل المسلمين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما أمرت به الشريعة وجاءت به الرسالة. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له درجات ثلاث: باليد واللسان والقلب. ولا شك أن كل من كان لديه علم صحيح

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فعليه أن يقوم بالبيان في هذا الأمر؛ فهل المطلوب من السلفيين أن يكفُّوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويغلقوا أفواههم على ألسنتهم حتى يقال عنهم إنهم منفتحون أو يقبلون بالتعددية؟ إن هذا الاعتراض في حقيقته هو اعتراض على شريعة الإسلام نفسه وليس على السلفيين فحسب، إن الأمر والنهي أمر قد مارسه المسلمون في كل عصورهم، وكان ضمانة مهمة من ضمانات أمن المجتمعات الإسلامية، وإن الدعوة اليوم إلى إهماله أو تهميشه بحجة السماح بالتعددية الثقافية ونحو ذلك هي دعوة إلى إفساد المجتمعات وتخريبها، وتلك مهمة كثير من التيارات المناوئة للمنهج السلفي.

١ حرب السلفية من جهة تيارات الحداثة بجميع فصائلها:

كل من كان يريد الخروج على هذه الشريعة الكاملة ومنازعة الكتاب والسنة في المرجعية، فلا بد أن يهاجم أصحاب المنهج السلفي؛ لأن أصحابه هم الذين يتصدون له ويردون عليه بالدليل ويبينون زيف كلامه أو دعواه.

في عصرنا الحاضر توجد مجموعات عدة تعادي أصحاب المنهج السلفي، بعضها يستند إلى جذور قديمة وبعضها محدَث جديد، فممن يستند في ذلك إلى أصولهم ومرجعياتهم القديمة، الشيعة وكذلك الصوفية.

لكن هناك فئة معاصرة تعادي أصحاب المنهج السلفي، من غير أن يكون لهم سلف أو أصول يمكن أن يرجعوا إليها، وهي فئة العصرانيين أو الحداثيين أو الليبراليين، وهو ما يجعلهم مقطوعي الصلة مبتوتين عن أوضاع المجتمع الإسلامي، وإن حاولوا الاستناد على المعتزلة الذين قدموا العقل في أمور كثيرة على الكتاب والسنة، فكانوا لهم سلفاً من هذه الناحية؛ فلذلك يكثر من هذه الفئة المديح والتبجيل لهم، ومحاولة إحياء تراثهم، حتى صار الثناء على المعتزلة يمثل علامة بارزة لأصحاب هذه الاتجاهات.

لقد وفرت الحملة الأمريكية الظالمة التي تشنها هي وأحلافها ـ على ثبات الدين الإسلامي في محاولة لتفريغه من مضمونه، أو تطويره الذي يعني تغييره وتبديله، متذرعة في ذلك بما ابتدعته وروجت له باسم الحرب على الإرهاب، وقد قدمت العديد من مراكز أبحاثهم توصيات لتحقيق ذلك كتقوية الفئات المبتدعة أو الفئات الليبرالية والاتصال بهم، وفرضهم على الأنظمة، والسماح بإدخال بعضٍ من أطروحاتهم ومفاهيمهم للدين لتكون جزءاً من المناهج التعليمية ـ وفرت شروطاً لنجاح أصحاب تلك الفرق في مشروعهم التخريبي، الذين عملوا على الاستفادة من هذه الأوضاع، واستغلال حالة الضعف الشديدة التي يمر بها الكثير من الأنظمة الإسلامية، التي لم يعد يشغلها سوى الحفاظ على مكاسبها وأوضاعها.

وقد تعرض المنهج السلفي في عصرنا على أيديهم إلى مناوأة شديدة على مختلف الأصعدة.

ويمكن تقسيم الحديث عن حربهم للسلفية إلى ثلاثة محاور:

الأول: المرجعيات أو المصادر (الكتاب ـ السنة ـ الإجماع).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني: منهج التعامل العلمي والعملي.

الثالث: رموز ورجالات المنهج السلفي.

وقد حظي كل محور من هذه المحاور بحملة من الهجوم والقدح لمحاولة إفراغه من مضمونه، أو إسقاطه من نظر المسلمين.

\ حرب المرجعيات أو المصادر:

تمثلت هذه الحرب في محاولة تهميش مكانة الكتاب والسنة والإجماع باعتبارها الأصول الضابطة التي يرجع إليها عند الاختلاف؛ وذلك من خلال الحديث عن:

1 ـ تعددية القراءة للنصوص الشرعية؛ بمعنى أن النص الشرعي يمكن فهمه بأكثر من طريق، أو أسلوب، مما يسمح بالوصول إلى نتائج مختلفة أو متباينة، وأحقية كل واحد أن تكون له قراءة خاصة به، يفهم من خلالها النصوص بلا ضابط يضبط ذلك، سوى الحديث عن موافقة العصر ومجاراة التطور، وعدم التحجر أو مخالفة العقل، من غير اشتراط لأي إمكانيات أو مؤهلات علمية تعين على الفهم والاستنباط، وهم في ذلك متأثرون بالنظرة الغربية لكتبهم المقدسة التي فقدت قداستها لكثرة ما وقع فيها من الخلط والاضطراب، الذي هو أحد نتائج التحريف الذي تعرضت له تلك الكتب على أيدي أتباعها.

2 ـ إهمال مكانة أصحاب التخصص في العلوم الشرعية في الفهم والاستنباط، تحت زعم نفي الوصاية والقداسة، ومن هذا المنطلق، انفتح الباب على مصراعيه لكل دخيل دعي يزعم أحقيته في مخالفة المستقر المعلوم الذي دلت عليه النصوص، وأيدته أقوال أهل العلم على مدى القرون، وهم في ذلك أيضاً متأثرون بالنظرة الغربية لعلماء دينهم الذين جعلوا من آرائهم ومعارفهم المحدودة، شرعاً ديناً يضاهي ما نزل من عند الله العلي الكبير، فقامت لأجل ذلك في الغرب حركات للإصلاح الديني من أشهرها حركة «مارتن لوثر»؛ حيث دعا إلى رفع وصاية القساوسة عن «الكتاب المقدس» وأن تتاح قراءته لجميع النصارى بعيداً عن التقيد بشروحات أو أفهام القساوسة والرهبان.

3 ـ تاريخية الشريعة؛ بمعنى ربط النص بالحادثة أو الواقعة التي جاء فيها، وهو يعني إخراج الشريعة عن عمومها وشمولها، وهو ما يعني في حقيقته نسخ الشريعة، وإذا لم يكن النسخ كاملاً عند بعض هؤلاء، فعلى الأقل نسخ كل ما يتعارض من الشريعة مع ما يعدونه من قيم التحضر والمعاصرة؛ انطلاقاً من أن تلك النصوص المتروكة إنما هي نصوص تاريخية ليست عامة أو شاملة، فصارت هذه القيم بمنزلة المحكم الذي يُقدَّم على غيره، وتُحرَّف لأجله النصوص الواضحة المحكمة باسم التأويل.

\ حرب المنهج العلمي: وذلك من خلال:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

1 ـ الاعتداد الزائد عن الحد بالعقل وتقديمه على النص؛ فإذا تعارض ما دل عليه الشرع مع ما دل عليه العقل، كان ما دل عليه العقل هو المقدم.

2 ـ تأسيس الأحكام على ما يتصور أنه مصلحة من غير مراعاة لأية قيود أو ضوابط سوى مجرد المصلحة.

3 ـ الخروج على الضوابط الشرعية والتفلت من الاتِّباع بدعوى التيسير، فأصبح لفظ التيسير هو الصخرة التي تُحَطَّم بها الضوابط والقيود والحدود، وتخالَف بها النصوص الصريحة في دلالاتها

\ حرب الرموز:

أما الرموز فهي القيادات المتبعة للمنهج السلفي والداعية إليه والمقررة لأصوله، ويكون ذلك بالطعن فيها بنبزها بالتحجر والانغلاق، وعدم معرفتها بالواقع، وعدم الانفتاح على قيم العصر، وأن هذه القيادات لم تعد مما يصلح في حقبة العولمة التي تحول فيها العالم إلى بقعة كبيرة متجانسة متصلة ببعضها اتصالاً وثيقاً على رغم بُعد المسافات بينها، ومحاولة حصر المنهج في عدد من الأشخاص وكأنهم هم الذين جاؤوا به أو ابتدعوه، وليس هو منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، فتراهم يحصرون المنهج السلفي في العصر الحديث في الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، ومن قبل يحصرونه في شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى؛ في حين أن هؤلاء الأعلام لم يكونوا أكثر من مقررين لمنهج السلف، ناقلين له، وداعين إليه؛ فلم يكونوا منشئين له؛ والدليل على ذلك أنك تجدهم يستدلون على ما يقررونه بكلام المتقدمين من أهل العلم من الصحابة والتابعين والأئمة المتَّبَعين كأبي حنيفة ومالك والليث والشافعي وابن حنبل والبخاري والطبري وابن عبد البر والآجرّي واللالكائي والهروي والدارمي وابن مندة، وغيرهم كثير.

\ ساحات العمل:

لقد بان أن على أصحاب المنهج السلفي أن يجاهدوا في ساحة عمليات واسعة، تشتمل على عدة جبهات كلها مفتوحة في آن واحد. ولا شك أن تعدد الجبهات واتساعها من شأنه أن يضعف القوة المواجهة ويشتتها، كما قد يورث نوعاً من البلبلة والتداخل بل وربما التعارض أحياناً، وليس هناك من خيار في مواجهة تلك الجبهات جميعاً، لكن قد يمكن التأجيل بعض الوقت مع بعض الجبهات، وتقديم مواجهة الأخطر على الخطير إذا لم يمكن استيعاب الجبهات جميعاً، كما يمكن تقسيم العمل بحيث تتفرغ مجموعة لمواجهة طرف من أطراف الهجوم على المنهج السلفي، بينما تتفرغ مجموعة أخرى لمواجهة طرف ثانٍ وهكذا، ويتبين من هذا أن الساحة تتسع لكل فصائل التيار السلفي بالمشاركة دون المزاحمة، والجبهات المفتوحة لمحاربة المنهج السلفي هي: جبهة الشيعة، جبهة الصوفية، جبهة تيار الحداثة بكل فصائله، جبهة الغلاة الذين يغالون في المنهج السلفي. وفي المقابل لهم: فئة المتخاذلين أمام جبروت الظالمين وكلهم يزعم اتباع المنهج السلفي، وهم رغم تناقضهم الشديد إلا أنهم وجهان لعملة واحدة، هي البعد عن المنهج السلفي: إما بالغلو فيه، وإما بالجفاء عنه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

\ التحديات التي تواجه الدعوة السلفية:

هناك العديد من التحديات التي تعترض مسير الدعوة إلى المنهج السلفي، التي يمكن النظر إليها من خلال جهة التحدي: فهناك تحديات دولية، وهناك تحديات محلية، كما أن هناك تحديات داخلية، نذكر منها ما يلي:

< التحديات الدولية:

تتمثل التحديات الدولية في الحملة العالمية المعلنة على الإرهاب، التي تحاول الربط ظلماً وافتراء بين الإرهاب والمنهج السلفي؛ فاتِّباع المنهج السلفي يعد في نظر أصحاب هذه الحملة من الإرهاب الذي ينبغي محاربته، ويعدون المنهج السلفي هو منتج الإرهاب، ولا يستثنون من ذلك إلا ما يدعونه بأنه معتدل. والاعتدال عندهم ليس هو ما ينافي الغلو، ولكن الاعتدال هو القبول بالقيم الغربية والدعوة إليها، أو عدم معارضتها، فأتْباع المنهج السلفي ـ عندهم ـ إما إرهابيون بالفعل، وإما إرهابيون بالاستعداد، مما ترتب عليه ضغط الحكومات الغربية على كثير من الأنظمة الإسلامية للتضييق على الاتجاه السلفي ومحاصرته، وذلك عن طريق إلغاء التعليم الديني أو التضييق عليه، وتقييد النشاط الدعوي السلفي، وتقليص الدعم المادي إلى حدود متدنية، ولا يبعد عن ذلك تلك الهجمة الشرسة على المؤسسات الخيرية الإسلامية التي تقوم بالعمل الخيري بين المسلمين، وهذا يؤثر بلا شك على الدعوة السلفية؛ حيث يجعلها في دائرة الاتهام في نظر المخدوعين بهذه الحملة الظالمة، مما يصد الكثير من المسلمين عنها.

وفي تقرير (شيرلي بينارد) الذي أعدته مؤسسة (راند) لمقاومة الإسلام في شخص المتمسكين به، قدَّمتْ عدداً من التوصيات لصانعي القرارات. فمن ذلك: أن الصوفية تمثل تأويلاً فكرياً منفتحاً للإسلام، ويجب أن يتم تشجيع التأثير الصوفي بقوة في البلدان التي لديها تقاليد صوفية مثل العراق وأفغانستان، وذلك من خلال التأثير في مناهج التعليم وقيم المجتمع وثقافته؛ حيث إن الصوفية بما لديها من طقوس شعرية وموسيقية وفلسفية تمثل جسراً للخروج من الاندماج الديني. ومن ذلك يجب دعم الحداثيين في المقام الأول؛ وذلك من خلال تغليب نظرتهم للإسلام.. ويجب العناية بهم وتقديمهم إلى الرأي العام على أنهم يمثلون الوجه المعاصر للإسلام. ومن ذلك تشجيع العلماء من أنصار الحداثة في تأليف الكتب وإعداد المناهج الدراسية. ومنه الاستفادة من وسائل الإعلام الإقليمية للتعريف بأفكار وممارسات أنصار الحداثة المسلمين. ومن ذلك العمل على تأهيل نماذج قيادية يقتدى بها. ومن ذلك أيضاً مشاركة الغالبية من المسلمين من أنصار الحداثة في المناسبات السياسية ليصبحوا حقيقة سكانية ماثلة للعيان(1)، إلى غير ذلك من التوصيات التي تأخذ طريقها إلى التنفيذ في واقع المجتمعات الإسلامية.

< التحديات المحلية:

وأما التحديات المحلية فكثيرة، ومنها: سيطرة كثير من مروِّجي بضاعة الغرب الفكرية على مواقع التأثير، والذين يرون أن في التمسك بالمنهج السلفي والمحافظة عليه خطراً يهدد سلامة المجتمع وأمنه وتآلفه، ولذلك يدعون إلى التخلي عن هذا المنهج وتجاوزه، واستغلال واقع العالم المناوئ للمنهج السلفي في كسب أرض جديدة، والضغط على الأنظمة لابتزازها في التصدي للدعوة السلفية، واستعدائها عليها بزعم الخطورة على استقرارها، والتخويف بالعالم الغربي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن ذلك السماح للاتجاهات المنحرفة إسلامياً كالشيعة والصوفية الغالية وتيارات الحداثة في الدعوة إلى انحرافاتهم، ومن ذلك تجاهل أصحاب الدعوة السلفية في كثير من المجتمعات، وإبعادهم عن مراكز التأثير، والحيلولة بينهم وبين المناصب العليا في مؤسسات الدولة المهمة، وعدم إشراكهم في حركة التصحيح والإصلاح، بل حجبهم عن ذلك ومنعهم منها، مما يؤثر على قدرتهم في إصلاح مجتمعاتهم ويحول بينهم وبين الانفتاح على شعوبهم.

ومنه جهل كثير من الشعوب الإسلامية بحقيقة دين الإسلام، مما أدى إلى اختزال الإسلام على شموله وعمومه في بعض أركانه عند فريق، وفي مستحباته عند فريق آخر، بل بلغ الاختزال إلى مجرد الانتساب إليه؛ فالإسلام عندهم هو الانتساب إليه، ولو لم يقم بأيٍّ من فرائضه، وقد ترتب على هذا الاختزال أن انحرفت كثير من العقول عن جادة الطريق وتعلقت بسفساف الأمور، ولا شك أن هذا الاختزال عند الكثيرين يجعلهم ينظرون إلى دعاة المنهج السلفي وكأنهم قد أتوا بدعوة جديدة، وليس تجديداً لمفهوم الدين الصحيح.

ومن التحديات الخطيرة التي يظهر أنها مرشحة بقوة في الفترة القادمة لمواجهة المنهج السلفي، الإغراء بلعبة الحل الديمقراطي والانتخابات، مما قد يغري طائفة كبيرة من الناس بالتحول إلى ذلك الخيار خاصة مع التضييق على المنهج السلفي، فيذهب الناس إليه على أنه متنفس لهم، يحاولون عن طريقه تحقيق ما يمكن تحقيقه، وإذا كان من الممكن تحقيق بعض الإيجابيات من ورائه على المدى القصير؛ فإن سلوك هذا الطريق والتعويل عليه سيكون على المدى الطويل حائلاً دون اجتماع المسلمين على متابعة الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام، ولذلك فإننا نجد ضغطاً غربياً على الدول العربية والإسلامية لفتح هذا الباب حتى آخر مداه، ولا يكون ضغطهم هذا لخير الأمة؛ فقد قال الله ـ تعالى ـ في وصف حالهم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} [آل عمران: 118]، والآيات في ذلك كثيرة، وإنما يضغطون لما يعود عليهم من النفع من وراء ذلك.

< التحديات الداخلية:

وأما التحديات الداخلية فهي تتمثل في التحديات الآتية من داخل التيار السلفي نفسه؛ فمن ذلك: تقدير بعض الفصائل لنفسها تقديراً زائداً عن الحد حتى لترى أنها الفرقة الناجية دون ما سواها من المسلمين، ومن ثم النظر لكل من خالفها على أنها من الفرق المذمومة، ومن ذلك وسْم المنهج السلفي بسمات ضيقة مما يترتب عليه أن يُخرج كل فصيل من المنهج السلفي الفصيل المغاير له في الفهم ولو في بعض القضايا الفقهية، ومنه اختزال العمل الدعوي كله في العناية ببعض المسائل العلمية، وتحقيقها وشرحها والدعوة إليها.

\ ضوابط وآليات في المواجهة:

أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح من الصحابة والتابعين هم الأمناء على هذا الدين وهم من يقع على كاهلهم أمانة تبليغه والمحافظة عليه، وهم الذين عناهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بقوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»(1)، وهم المُناط بهم مواجهة الخارجين عن هذه الشريعة أو الزائغين عنها، وهناك أمور مهمة يحتاج إليها المسلم على الدوام في رد عادية المعتدي، فمن ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

1 ـ الجهر بالحق والمفاصلة عليه مع من يبغضون الحق ويكرهونه، وعدم الضعف في ذلك أو التلون أمام ضغوط الإكراه أو الإغواء، وقد قال الله ـ تعالى ـ لرسوله وهو في مكة: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 104]، وقال له: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون: 1 - 2] وهو قول له ولكل من اتبعه وسار على منهاجه، ولكن ينبغي الحذر من البغي أو الاستطالة على الآخرين.

2 ـ كشف المحاربين للدعوة السلفية والذين يتدثرون ببعض أرديتها، حتى يكون الناس على بينة من أمرهم، لكن من غير أن يُظلم أحد أو يُتهم بغير بينة ودليل يرشد إلى ذلك.

3 ـ عدم الفتور في نشر المنهج السلفي وجمع الأمة عليه، والتماس كل طريق صالح يؤدي إلى ذلك؛ فإن الدعوة السلفية دعوة للاجتماع على الحق قولاً وعملاً.

4 ـ تحديث وسائل الدعوة ومواجهة الخارجين على المنهج السلفي بأساليب ووسائل صحيحة مقبولة وفق قواعد المنهج السلفي، مع عدم الانسياق وراء ما تروجه وسائل الإعلام في كثير من بلاد المسلمين عن الخيار الديمقراطي.

5 ـ الثبات على الحق وعدم المداهنة أو الخضوع والخنوع؛ فإن من عوامل قوة المنهج السلفي الثبات على الحق. وفي أجواء الحملة المضادة ربما يحاول بعضهم أن ينحني للعاصفة حتى لا تقتلعه، وإذا كانت قواعد السياسة الشرعية تسمح للمسلم بأن يؤخر الدعوة إلى أمر من الدين إذا علم أنه لا يقدر على ذلك، فيؤخره إلى حين التمكن، لكن لا ينبغي له المداهنة والموافقة على بعض الباطل في مقابل أن يُسمح له ببعض الحق، فالسكوت عن التكلم بالحق إذا لم يكن ذلك مقدوراً أوْلى من النطق بالباطل؛ وقد حذر القرآن من ذلك المسلك فقال ـ تعالى ـ: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: 9] وقد بين ابن جرير الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ معنى ذلك فقال: «ود هؤلاء المشركون يا محمد! لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك»(1)، وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: «ودوا لو ترفض بعض أمرك، فيرفضون بعض أمرهم»(2).

فالمنهج السلفي يأبى الصيغ التوافقية التي يترتب عليها الإقرار ببعض الحق بجانب بعض الباطل، أو التخلي عن بعض الحق في مقابل أن يتخلى أهل الباطل عن بعض باطلهم، ونلحظ في هذا المجال في أيامنا هذه محاولة إدخال كثير من الألفاظ والتعابير وحشرها بعُجَرها وبُجَرها في نسيج الأمة الثقافي من غير أي تمييز، وموافقة كثير من الناس على ذلك أو السكوت عليه، كما نلحظ اتهام من يميز هذه الألفاظ ويبين ما فيها من الصواب وما فيها من الخطأ، فمن هذه الألفاظ التي غزت ثقافتنا: التسامح أو الإخاء الديني، والاعتراف بالآخر المختلف ثقافياً وعقدياً، ونبذ التعصب والكراهية للآخر المختلف، والبحث عن المشترك الإنساني والتعاون لخير الإنسانية. وفي المقابل نجد عملية تغييب مقصودة لكثير من المصطلحات الشرعية مثل: الولاء والبراء، ودار الحرب ودار الإسلام، وأحكام أهل الذمة.

6 ـ الصبر وعدم الضجر واستعجال النتائج: إن مشروعاً ضخماً كمشروع المنهج السلفي يحتاج إلى جهد ومثابرة ومكابدة وطول زمان، والاستعجال يقوّض العمل ويفسد النتائج؛ فالزلل يلازم المستعجل، لكن عدم الاستعجال لا يعني التراخي والكسل، بل الجد والاجتهاد والحرص، وكلها أمور مطلوبة في ترسيخ هذا المشروع الكبير، وقد قال نوح ـ عليه السلام ـ: {إِنِّي دَعَوْتُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا} [نوح: 5] وقال: {ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا} [نوح: 8 - 9] مما يبين حرصه الشديد وجهده المتواصل، وكذلك الأنبياء من بعده، وعلى رأسهم سيد البشر -صلى الله عليه وسلم-، فلم يستعجل؛ إذ ظل يدعو في مكة ثلاثة عشر عاماً من غير استعجال النتائج، ولكن مع الجد والاجتهاد في الدعوة؛ حيث كان يلقى الناس في المواسم ويعرض عليهم دعوته، كما خرج من مكة إلى الطائف يدعو إلى ربه، فلم يكن عدم الاستعجال؛ مدعاة للتواني أو الخمول، وكان -صلى الله عليه وسلم- يرشد أصحابه إلى عدم الاستعجال، فعندما قال له خباب رضي الله ـ تعالى ـ عنه وهم يُضيَّق عليهم في مكة: ألا تستنصر لنا! ألا تدعو الله لنا! قال لهم بعدما ذكر ما كان يلاقيه المسلمون السابقون من أقوامهم: «والله! ليتمنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»(3).

لكن هناك ضوابط لا بد مراعاتها في هذه المواجهة، والتي منها:

1 ـ العدل والإنصاف: فلا يجور على المخالفين، ولا يعاملهم بمثل ما يعملون من الكذب والغش والخيانة. قال الله ـ تعالى ـ: {وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة: 8]، والعدل والإنصاف مطلوب مع كل أحد سواء كان من أهل السنة والجماعة، أو كان من أصحاب الفرق، أو كان من غير المسلمين. وأما من كان يفتري على أصحاب المنهج السلفي فإن الله ـ تعالى ـ يرد كيده في نحره ويخذل المفترين. قال الله ـ تعالى ـ: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} [الأعراف: 152] فبين الله ـ تعالى ـ أن هذه العقوبة جزاء لكل مفترٍ.

2 ـ اتباع الظاهر وعدم التنقيب عن البواطن: فإنه لا سبيل إلى الاطلاع على البواطن إلا للذي يعلم السر وأخفى، لكن ينبغي مع هذا عدم الغفلة عن القرائن التي تنبئ عما وراءها، كما قال ـ تعالى ـ: {وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ} [محمد: 30]، وإذا كانت هذه القرائن لا تصلح لإصدار حكم على صاحبها، لكنها تصلح للاحتراز والاحتراس منهم، وهو معنى ما روي عن عمر ـ رضي الله تعالى ـ عنه: «احترسوا من الناس بسوء الظن» والحسن البصري ومطرف بن عبد الله من التابعين، وكذلك ما ورد في أمثال العرب من قول القائل: أخوك البكري فلا تأمنه.

3 ـ عدم المبالغة أو الغلو في الأحكام: فمن المعروف أن أحكام الشريعة ليست كلها على وزان واحد؛ فمنها ما هو معلوم من الدين بالضرورة، ومنها ما هو مجمَع عليه، ومنها ما هو مختلَف فيه خلافاً ضعيفاً، ومنها ما هو مختلف فيه خلافاً قوياً، وكل نوع من هذه الأنواع له أحكامه المترتبة على وضعه، ولا ينبغي إنزال الجميع منزلة واحدة بحيث تعامل المسائل المختلَف فيها كما لو كانت مسائل إجماعية، ولا تعامل المسائل المشهورة كما لو كانت معلومة من الدين بالضرورة، كما لا ينبغي حمل الناس على مذهب واحد في العلم والفتيا في المسائل الاجتهادية.

ويتبين مما تقدم أن أصحاب المنهج السلفي أهل السنة والجماعة بحاجة إلى وحدة الصف وعدم التنازع وتفريق الجهود، والثبات على الحق ورفض المساومة عليه، والجد والاجتهاد واحتمال الأذى في العمل لهذا الدين، وبيان فساد الدعوات المخالفة، وبيان ارتكانها على المشاريع الغربية الساعية لتقويض صرح هذا الدين، حتى يحذرهم الناس على دينهم ودنياهم، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

---

(1) أخرجه البخاري كتاب رقم ومسلم كتاب رقم ( ).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 339/11 وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون (مجمع الزوائد 430/1) ونسبه في فتح المجيد إلى رواية الإمام أحمد وهو وهم، ونسبه السيوطي في الدرر المنتثرة (361/1) إلى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد.

(1) أخرجه البخاري في قرة العينين (73/1).

(2) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (284/15).

(3) مجموع الفتاوى لابن تيمية (338/6).

(1) انظر: الإسلام المدني الديمقراطي، تأليف شيرلي بينارد، ص 75 وما بعدها.

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، رقم 3544.

(1) تفسير ابن جرير الطبري (182/12).

(2) تفسير القرطبي (202/18).

(3) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، رقم 3343.

This file was downloaded from QuranicThought.com